ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1070 - الجمعة 8 ربيع الثاني 1425 هـ - الموافق 28 ماي 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

وإلى السماء كيف رفعت

معرفة مايضطر إليه من المنطق

... على رغم أنف أبي ذر

... وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

مسيلمة الكذاب الجديد

الإسلام نظام عالمي متجدد

لا قوة بدون تضامن

لقد نادى الكتاب والسنة النبوية بضرورة التوحيد والحث عليه والأمر بتقويته والعمل على خلقه والمحافظة عليه بين أفراد الأمة الإسلامية بكل أنحاء العالم لنشر المحبة والسلم والتآخي، فلن تجد أمة نالت مكانتها وصارت بخطى ثابتة في سبيل التقدم قصد الوصول إلى مقام الرقي والكمال إلا بإبعاد شبح الفرقة عنها وسد فرج التنافر والتصادم فيما بينها، ولا تجد عصرا من العصور السالفة فيه مكان يذكر للضعيف في أي ميدان من ميادين الحياة، ولن ترى التاريخ تحدث عن فرد أو جماعة أو أمة بتقدير وإعجاب إلا بما ترك هؤلاء من أثر مادي أو معنوي فيه مردودية ساهمت في بناء صرح التقدم البشري، ذلك التقدم المتكون من عطاءات فكرية وعلمية متنوعة خدمت الإنسان ودفعت به معارفه إلى أن يصل إلى ما يشاهد من اختراع لا حصر له ولا يمكن التنبؤ عن مستجداته ولا عن ما سيصل بالبشرية لسرعة حركيته غير المتوقعة ولعدم التحكم فيها حتى أن المادة صارت تطغى وبشكل مخيف على القيم الإنسانية وما تختزنه من مصلحة تخدم الفرد والجماعة، وبدأنا نتوجس خيفة من هذه المنهجية التكنولوجية التي تعبث بالعدل وحقوق الإنسان على مرأى ومسمع من الجميع وجعلت الإنسانية قادة وشعوبا في حيرة من أمرها.

إن الإنسان من حيث هو يحتاج للسكينة والأمن والاستقرار والسلم حتى ينعم بحياة لا ظلم فيها ولا اعتداء ولا هيمنة على الآخرين ولا هضم لحقوقهم، ومن هنا علينا نحن معشر المسلمين أن يضع كل منا يده في يد أخيه لإبراز محاسن الإسلام وعدالته ويسره وسعيه لصالح الإنسانية بدون تبجح ولا ديماغوجية ولا تدليس ولا دعاية مهزوزة شكلا وجوهرا.

فلنتعاون على البر والتقوى ولنظهر للعالم ما ينطوي عليه الإسلام بسلوكنا من رحمانية وإنسانية صادقة وما يدعو له من إشاعة العدل ومناهضة الظلم الذي أزكم نفوس البشرية ما عانى منه ساكنة الكرة الأرضية فكأن الضعيف ويا للأسف في هذا العصر ما خلق إلا للعبث بحقوقه من جانب القوي، وهذا ما لا يقبله عدل ولا شرع ولا قانون.

إن ما يشاهد العالم أجمع من انتهاكات حقوق الإنسان في فلسطين والعراق وغيرهما من المعتدين على كرامة هذا الكائن البشري يندى له جبين كل حر لا يرضى بالظلم ولا بالهوان ولا بالعبث بالأنفس والأموال، فلنرجع إلى الجادة ولنعط لكل ذي حق حقه (فالظلم مرتعه وخم) (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء الآية 19، (وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون الآية:35، (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران، الآية: 301.

فلنتضامن على ما فيه مصلحة الإنسانية حالا واستقبالا وما يهذب سلوكنا وينشر العدل والرحمة والسلم فيما بيننا ،ولنتجنب الظلم وانتهاك حرمات الآخرين، ونوحد الصف ونبعد الخلاف ولا نترك للتفرقة والفرقة مكانا بيننا جميعا، وذلك ما يدعو له ديننا الإسلامي قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) سورة آل عمران وقال (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) سورة آل عمران.

فلنهذب سلوكنا ولنضبط أنفسنا ونحملها على خدمة الإنسانية لنشر هدايتها وتعميق المحبة في نفوسها وبلورة ذلك كله في اتحادنا وتضامننا قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا).

فلنثبت المحبة قولا وعملا بيننا ولنثلج صدورنا نحن الأمة الإسلامية بل والإنسانية عامة بإشاعة المحبة بيننا في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمنظورة لما في هذا التوجه من زرع الاطمئنان في النفوس، وليكن ذلك مشفوعا بالعمل الصادق قال عليه الصلاة والسلام: (إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه) وفي تطبيق هذا الحديث أكبر حكمة لتقارب البشرية، فقد أعطت التجربة أن الإعلام له دوره في توجيه الرأي العام فلنتضامن إذ قوتنا تكمن في اتحادنا.

وفقنا الله لما فيه رضاه

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

-11-

إن حياة سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذي ولاه العهد ونصبه خليفة على المسلمين الخليفة الأول أبو بكر الصديق وقد رأى فيه ماشهد له به رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلم والحب في الله والإخلاص لله ولرسوله وللمسلمين جميعا.

ومواقفه رضي الله عنه وآراؤه في تسيير شؤون المسلمين كان يعلنها على الملإ وحتى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وأسر المسلمون سبعين رجلا أكثرهم من رؤوس المشركين وذوي الجاه والمال فيهم، استشار الرسول صلى الله عليه وسلم في أمرهم أصحابه، فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه بالفداء، وأشار عليه عمر بالقتل حتى يكونوا عبرة لغيرهم، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر الصديق وأخذ منهم الفدية، فنزل القرآن الكريم بموافقة رأي عمر بن الخطاب في قوله تعالى في سورة الأنفال: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم".

ومن المواقف العمرية الصريحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتراضه على الصلاة على المنافقين بعد موتهم فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول، جاء ابنه عبد الله وكان مبرءا من النفاق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خيرني الله فقال: "استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم" وسأزيد على السبعين قال عمر إنه منافق، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل "ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره" الآية الرابعة والثمانون من سورة التوبة، والحديث رواه البخاري في صحيحه.

وقد أوصل بعض الرواة والباحثين الموافقات القرآنية لرأي عمر بن الخطاب إلى نحو العشرين ونظمها الجلال السيوطي تحت عنوان "قطف الثمر في موافقات عمر".

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يذكر قصة إعادة بناء الكعبة المشرفة

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ مازال التجيبي يتحدث عن تطور بناء بيت الله الحرام عبر الأحداث والفترات التاريخية، ويذكر أن البيت انهدم بعد إبراهيم عليه السلام فبنته العمالقة. وهم قدماء العرب من شمالي الحجاز، مما يلي شبه جزيرة سيناء، وقديما فتحوا مصر باسم الناسو، أي البدو وكان البابليون يطلقون عليهم (مالق) وأضاف إليها بنو إسرائيل (عم) بمعنى شعب، فقالوا : (عم، ماليق) ونطقها العرب: (عماليق) وعمالقة. وهؤلاء هم الذين ذكر التجيبي أنهم جددوا بناء البيت الحرام بعد إبراهيم عليه السلام، ثم مر عليه الدهر فبنته جرهم، ويقال: إنها رممته فقط، ثم مر عليه الدهر فبنته قريش، يقول التجيبي: "وأول من جدد الكعبة بعد كلاب بن مرة، قصي، أخبرنا بذلك السيد الشريف الفاضل الإمام نور الدين أبي العباس أحمد بن عبد المحسن الحسيني، العراقي ثم الغرافي بقراءتي عليه بدار الحديث النبيهية من ثغر الاسكندرية في شهر ربيع الأول المبارك من سنة ست وتسعين وستمائة، قلت له رضي الله عنكم حدثكم الحافظ العلامة الأمين الثقة شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي رحمه الله تعالى بقراءة والدك عليه بجامع حلب المحروسة يوم الخميس رابع عشر من ذي قعدة سنة ثمان وثلاثين وستمائة؟فأقربه، وقال: نعم" ويستمر التجيبي في سرد سنده إلى أن يصل به إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قصي أول من جدد الكعبة بعد كلاب بن مرة، ثم لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة. بخرت. فطارت شرارة فأحرقت ثياب الكعبة، فهوى البيت، فهدمته قريش وبنته مرة أخرى، فعجزت بهم النفقة عن إتمامه على قواعد إبراهيم عليه السلام، فأجمع رأيهم على أن يقصروه عن القواعد، ويحجروا ما يقدرون عليه من بناء البيت، ويتركوا بقيته في الحجر، عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه، ففعلوا ذلك، وبنوا في بطن الكعبة أساسا يبنون عليه من شق الحجر، وتركوا من ورائه خمسة أذرع أو ستة أذرع، أو نحوا من ستة أذرع، أو قريبا من سبعة أذرع، على اختلاف الروايات في ذلك حسبما رويناه في الصحيح، فبنوه على ذلك، ورفعوا بابه من الأرض، ليدخلوا من شاءوا ويقسموه أرباعا بينهم، ثم لما أرادوا وضع الركن. أي الحجر الأسود. اختلفوا فيه، فكل أراد وضعه، فحكموا النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يضعه في موضعه، فبسط صلى الله عليه وسلم رداءه ثم وضع فيه الركن، ودعا من كل ربع رجلا، فأخذوا بأطراف الثوب، ووضعه هو بيده المباركة صلى الله عليه وسلم، في موضعه"وينقل أبو القاسم التجيبي هذا الخبر، ويؤكد أنه من الأحاديث الواردة في الصحيح، لكنه يؤثر على عادته أن ينقل الأخبار في مثل هذه الأمور بسنده عن أحد شيوخه الذين التقى بهم، إلى نهاية سند الحديث، ويتحرى أن يكون سنده عاليا، ليكون لسنده مزية تدل على أنه من رجال الحديث المتضلعين فيه، فهو رحمه الله قد درس الحديث وعلومه وكتبه المشهورة والمتداولة: من الصحيح والسنن، كما أورد ذلك في برنامج مشيخته، الذي سنتاول الحديث عنه في فرصة أخرى بحول الله ومشيئته، ويقول بعد ذلك: "ثم احترف في زمن ابن الزبير، رضي الله عنهما، فشاور في هدمه من حضره، فأبى أكثر الناس هدمه، وكان أشدهم إباء عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وقال له: دعه على ما أقره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمه فلا يزال يهدم ويبنى، فيتهاون الناس بحرمته، ولكن أرقعه، فقال ابن الزبير، والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه، فكيف أرقع بيت الله تعالى وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله، حتى إن الحمام ليقع عليه، فتتناثر حجارته، وأشار عليه بعض الناس بهدمه، منهم جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، وكان جاء معتمرا، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن صفوان بن أمية، رضي الله عنهم، فأقام أياما يشاور وينظر، ثم أجمع على هدمها، وكان يجب أن يكون هو الذي يردها على ما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على قواعد إبراهيم الخليل عليه السلام، لما حدثته خالته أم المؤمنين الصديقية ابنة الصديق عائشة رضي الله عنهم، أخبرنا بحديثها السيد الشريف الفاضل تاج الدين أبو الحسن علي بن أحمد الحسيني. وهو الشيخ السالف الذكر. بقراءتي عليه بالثغر . أي الاسكندرية. قال أخبرنا أبو الحسن القطيعي سماعا سنة ثنتين وثلاثين وستمائة، قال أخبرنا أبو بكر بن الزاغوني... ويستمر في ذكر سنده هذا إلى عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت البيت حتى أدخل فيه ما أخرجوه منه في الحجر، وإنهم عجزوا عن نفقته، وأخرجوا طائفة منه في الحجر، ووضعته على أساس إبراهيم، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابا شرقيا، وبابا غربيا، ويرد التجيبي طريقا آخر لهذا الحديث، ويقول: رواه الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج رضي الله عنه، عن أبي بكر عن عبيد الله، فوقع لنا بدلا، ولله الحمد والمنة".

فرحالتنا كانت رحلته إلى الحج علمية بكل معنى الكلمة، فهو يبحث عن الأسانيد النادرة ويرويها متصلة بشيوخ شيوخه، بغيرالأسانيد التي عرفت بها في كتب الحديث، ولولا رحلته الحجازية لما تأتى له ذلك، وأورد طرقا أخرى لحديث عائشة رضي الله عنها، إلى أن يقول: "فهدم عبد الله بن الزبير البيت حتى أفضى إلى قواعد ابراهيم عليه السلام، وعاينها يزيد بن روما ن وغيره، ويزيد بن رومان يروي عن عروة بن الزبير عن عائشة: أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لها: "يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية، الحديث، ويزيد هذا يقول: شاهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه، وأدخل فيه من الحجر، يقول التجيبي: "بناه عبد الله رضي الله عنه وألزق بابه بالأرض وفتح مقابل هذا الباب بابا غربيا قريبا من الركن اليمان، وألزقه أيضا بالأرض، وأثره باق إلى الآن عاينا كما ذكرنا، وزاد في ارتفاع البيت تسع أذرع، وكان ارتفاعه فيما يقال في زمن ابراهيم عليه السلام تسع أذرع، ولم يكن له سقف لما بنته قريش زادت في ارتفاعه تسع أذرع، ثم لما بناه ابن الزبير رضي الله عنهما، زاد فيه كما ذكرنا، ويقول وهو في صحيح مسلم، أنه زاد فيه عشر أذرع، وهو الآن سبع وشعرون ذراعا في الصفح الذي هو بين الركنين اليمانيين، يزيد ذراعا على سائر الجوانب، بسبب انتصاب السطح إلى الميزاب، فيكون على هذا ارتفاع هذا الشق في السماء، ثمان وعشرين ذراعا... ولما هدمه ابن الزبير جعل للناس أعمدة، وستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه، فلما كمل بناؤه، رضع الحجر في الموضع الذي هو فيه الآن، حمزة بن عبد الله بن الزبير، وأبوه يصلي بالناس في المسجد، اعتم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس في ذلك، وخاف الخلاف، فأقره أبوه رضي الله عنه.

ثم لما غلب عدو الله الحجاج بن يوسف على مكة المعظمة، وفعل مافعل نقض مايلي الحجر من البيت. أي الزيادة التي أحدثها عبد الله بن الزبير. وأعاده إلى البناء الأول على أساس قريش، وسد الباب الذي في ظهره، وترك سائره على مابناه ابن الزبير رضي الله عنه، فكل شيء فيه اليوم. وقت التجيبي. فهو بناء ابن الزبير ، إلا الجدار الذي في الحجر، وسد الباب الغربي الذي كان في ظهر البيت، وما تحت عتبة الباب الشرقي الذي يدخل منه اليوم... ولما حج أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين رحمه الله، هم بأن يرد البيت على مابناه ابن الزبير رضي الله عنهما، فشاور في ذلك الإمام مالك، رحمه الله ورضي عنه، فقال له: أنشدك بالله ياأمير المؤمنين أن لاتجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك، لايشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس، فصرفه عن رأيه فيه.

يقول: وذكر القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في عارضته أن هارون الرشيد رحمه الله هم أيضا بهذا، فصرفه أيضا مالك، رحمه الله تعالى... وكان فيما أشار به رحمه الله مصلحة وتيسيرا على الناس في دخول البيت متى شاءوا... والإنسان الآن يدخل البيت متى شاء، ويصلي فيه متى أراد من غير تعب ولانصب، ولاتعرض من أحد السببين، وذلك في الحجر، والحجر من البيت" وأتى بما روي عن عائشة أنها قالت: مابالي أصليت في الحجر أم في البيت" ثم روى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فأدخلني الحجر فقال صلي في الحجر إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت، ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة، فأخرجوه من البيت" قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح".

وأطال التجيبي في ذكر مساحة البيت، ووصفه من الداخل، وبأنه مفروش بالرخام المنحوت البديع الإلصاق، وكذا جدرانه.

(تتمة ص:1)

إننا نقف قليلا مع شخصية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه كان سنة فريدة في الحياة الاجتماعية وشجاعته في إبداء الرأي واتخاذ المواقف المعلنة كانت متميزة، وممارسته القضاء في عهد أبي بكر الصديق لمدة سنتين دون أن يتقاضى أمامه اثنان كانت خصوصية عمرية تضاف إلى خصوصياته المتعددة، وفصله السلطة القضائية عن ممارسة السلطة التنفيذية كانت عملية جريئة في المنهج القضائي والعمل على تحقيق العدل وإحقاق الحق وإنصاف المظلوم.

وقد ذكرنا في حديث سابق مجموعة من الصحابة عينهم سيدنا عمر بن الخطاب لممارسة القضاء في مختلف الأقاليم الاسلامية، وكان من هؤلاء الصحابي الجليل سيدنا أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أمه دليبة بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة، أسلم أبو موسى الأشعري بمكة المكرمة قبل الهجرة، وهاجر إلى الحبشة بعد أن كان قصده اليمن ومعه أخويه أبو رهم وأبو بردة، ونزل مع المهاجرين في الحبشة ضيفا على النجاشي وعنده جعفر بن أبي طالب، ثم بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفتحه لخيبر صادف وصول سفينة الحبشة إلى الشاطئ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال "لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلي" كما في طبقات ابن سعد.

وكان أبو موسى من حفظة القرآن ومن المحسنين تجويده انتهى إليه حسن الصوت بالقرآن روى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود" أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى الأشعري قال له: ذكرنا ربنا فيقرأ عنده".

كان أبو موسى الأشعري أحد الحكمين في موقعة صفين، ثم اعتزل الفريقين معا، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الراشدين الأربعة وعن معاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وعمار، وروى عنه أولاده الأربعة موسى وابراهيم وأبو بردة وأبو بكر، وامرأته أم عبد الله، وعدد من الصحابة والتابعين.

ولثقة سيدنا عمر رضي الله عنه في أبي موسى الأشعري كتب في وصيته عند الوفاة "لايقر لي عامل أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين"، وقال ابن المريني: قضاة الأمة أربعة عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت.

عاش ثلاثا وستين سنة على الأرجح كما في الإصابة ووقفتنا مع أبي موسى الأشعري سببها تخصيص سيدنا عمر بن الخطاب له بالرسالة القضائية التي جاءت ملخصة المنهج الإسلامي في القضاء من سلكه نجا ومن عدل عنه سقط في الهاوية، وسننشر نصها، ونأتي على شرح أهم ماتضمنته حسب الإمكان في الأعداد المقبلة إن شاء الله.

الوثاق

معرفة ما يضطر إليه من علم المنطق

للشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني عفى الله عنه ونفع به آمين

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

الحمد لله الذي انعم علينا بالعقل والبيان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث بواضح البينات وقواطع البرهان ورضي الله تعالى عن آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان وبعد،

كلمات مختصرة تتضمن معرفة ما يضطر إليه من علم المنطق لتصحيح ما يكتسب به التصورات والتصديقات وترك كل ما يشوش الفكر مع قلة جدواه ونذور استعماله من قواعد وتفريعات، فالله أسال أن ينفع به، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وينحصر المقصود من هذا التاليف في التعريضات ومباينها والحجج ومباديها، ومبادي التعرضات.

■ فاعلم أن الدلالة فهم أمر من أمر، وقيل هي كون أمر، بحيث يفهم منه أمر فهم أو لم يفهم.

❖ ❖ ❖ ❖

والدال ينقسم إلى لفظ وغيره، ودلالة كل منهما تنقسم إلى ثلاثة أقسام، دلالة وضعية وعقلية وطبعية فمثال دلالة غير اللفظ وضعا، دلالة الإشارة المخصوصة مثلا على معنى نعم أو لا، ومثال دلالته عقلا دلالة التغير مثلا على الحدوث، ومثال دلالته طبعا دلالة الحمرة على الخجل ومثال دلالة اللفظ وضعا دلالة الرجل مثلا على الذكر والمرأة على الأنثى، ومثال دلالته عقلا دلالته مثلا على جرم يقوم به لاستحالة قيام اللفظ بنفسه ومثال دلالته طبعا دلالة الصراخ الضروري مثلا على مصيبة.

❖ ❖ ❖ ❖

فهذه ستة أقسام المعتبر منها في علم المنطق قسم واحد هو دلالة اللفظ الوضعية، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على المعنى الذي وضع له، كدلالة لفظ الأربعة على ضعف الإثنين ودلالة تضمن وهي دلالة اللفظ على جزء مسماه إن كان مركبا كدلالة الأربعة على اثنين نصفها أو واحد ربعها أو ثلاثة أرباعها، ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على خارج عن مسماه لازم له لزوما ذهنيا بينا والمراد باللزوم البين أن يكون المسمى كلما فهم من اللفظ فهم ذهنا لازمه، وسواء لازم في الخارج عن الذهن كالزوجية المفهومة ذهنا من الأربعة، وهو اللزوم المطلق أو لم يلازم كالبصر المفهوم ذهنا من العمى، فإن لازم في الخارج عن الذهن، فإن لازم في الخارج عن الذهن فقط كالسواد للغضراب لم يطلق على فهمه من اللفظ الموضوع للزوم دلالة اللتزام وفي كون اللزوم الذهني شرط في دلالة الالتزام أو سببا قولان الأكثر وابن الحبب بناء على أن الدلالة الفهم أو الحيثية.

❖ ❖ ❖ ❖

ثم اللفظ ينقسم إلى مركب، وهو ما دل على جزء معناه دلالة مقصودة، وإلى مفرد وهو ما ليس كذلك، وهو مشكوك ان تعدد مسماه كعين، ومنفرد إن اتحد كإنسان ورجل، والمفرد إما كلي إن لم يمنع تصوره من صدقة على كثير كإنسان وحيوان وهو متواطئ إن استوى في افراده كالمثالين ومشكك إن اختلف فيها كالبياض والنور.

❖ ❖ ❖ ❖

وإما جزئي إن منع كزيد وعمر، ويسمى هذا جزئيا حقيقيا وهو إما علم شخص ان تشخص مسماه خارجا كزيد واما علم جنس إن تشخص مسماه خارجا كزيد، وإما علم جنس ان تشخص ذهنا كأسامة، ويطلق الجزئي أيضا على كل ما اندرج تحت كلي ويسمى هذا جزئيا إضافيا وهو أعم مطلقا من الجزئي الحقيقي، والكلي ينقسم إلى خمسة أقسام: الجنس والنوع والفصل والخاصة والفرض العام.

❖ ❖ ❖ ❖

فالجنس ما صدق في جواب ما هو على كثيرين مختلفين في الحقيقة كحيوان، والنوع ما صدق في جواب ما هو على كثيرين متفقين في الحقيقة كإنسان، وهذا هو النوع الحقيقي، وأما النوع الإضافي فهو الكلي المقول على كثيرين في جواب ما هو المندرج تحت جنس، وبينه وبين النوع الحقيقي عموم وخصوص من وجه يجتمعان في النوع السافل وينفرد النوع الحقيقي في النوع البسيط، وينفرد الإضافي في الجنس السافل والمتوسط.

❖ ❖ ❖ ❖

والفصل جزء الماهية الصادق عليها في جواب أي ما هو كالناطق باعتبار ماهية الإنسان، وإن شئت قلت هو الكلي المقول على الماهية في جواب، أي ما هو قولا ذاتيا.

والخاصة الكلي الخارج عن الماهية الخاص بها كالضحك للإنسان، وإن شئت قلت هو الكلي المقول على الماهية في جواب أي ما هو قولا عرضيا.

❖ ❖ ❖ ❖

والعرض العام الكلي الخارج عن الماهية الصادق عليها وعلى غيرها كالمتحرك للإنسان وكل من الحاجة والعرض العام اما شامل أو غير شامل وكل منهما إما لازم أو مفارق، والمفارق اما بطيء المفارقة أو سريعا وكل منهما اما بسهولة أو صعوبة واللازم إما للوجود أو للماهية، اما بوسط ان افتقر العلم باللزوم الى ثالث وإما بغير وسط إن لم يفتقر.

فصل:

المعرف للحقيقة ما معرفته سبب لمعرفة تلد الحقيقة فلابد أن يكون غيرها وسابقا في المعرفة عليها وأجلا منها ومساويا لها لا أعم منها ولا أخص وإلا كان غير مطرد أو غير منعكس، وينقسم إلى أربعة أقسام، حد تام وحد ناقص، ورسم تام ورسم ناقص فالحد التام هو المركب من جنس الحقيقة وفصلها القريبين كالجواب الناطق في تعريف الإنسان.

والحد الناقص ما كان التعريف فيه بالفصل وحده أو بالفصل مع الجنس البعيد كتعريف الإنسان بالجسم الناطق، والرسم التام هو المتركب من الجنس القريب والخاصة الشاملة اللازمة كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك والرسم الناقص ما كان التعريف فيه بالخاصة وحدها أو بالخاصة مع الجنس البعيد كتعريف الإنسان بالجسم الضاحك.

فصل:

القضية هي اللفظ المركب المحتمل بالنظر إلى ذاته فقط الصدق والكذب، وتنقسم إلى حملية وشرطية، فالمحلية ما تركب من مفردين أو ما في قوتهما كقولك زيد قائم وزيد قام أبوه، والشرطية ما تركب من قضيتين وهي تنقسم الى شرطة متصلة وشرطية منفصلة، فالمتصلة ما حكم فيها بصحبة إحدى القضيتين للأخرى، وتسمى لزومية إن كانت الصحبة لموجب كون إحدى القضيتين سببا للأخرى أو مسببة عنها أو اشتراكنا في سبب واحد كقولك إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود أو عكسه وقولك إن كان النهار موجودا، فالكواكب خفية، وإن كانت الصحبة بين القضيتين في الصدق لغير موجب سميت اتفاقية كقولك إن كانت الشمس طالعة كان الإنسان ناطقا، ويسمى الشرط فيهما مقدما، والجزاء تاليا والمنفصلة ما حكم فيها بالتنافر بين القضيتين فإن كان في الصدق والكذب معا سميت منفصلة حقيقية وهي مركبة من القضيتين كقولك إما أن يكون الموجود قديما وإما أن يكون ليس قديما أو مما يساوي النقيض، كقولك إما أن يكون الموجود قديما وإما أن يكون حادثا، وإن كان التنافر بين القضيتين في الصدق فقط سميت مانعة جمع، وهي مركبة من قضية والأخص من نقيضها كقولك إما أن يكون الجسم أبيض وإما أن يكون أسود، وإن كان التنافر في الكذب فقط سميت مانعه خلو وهي مركبة من قضية، والأعم من نقيضها كقولك إما أن يكون الجسم غير أبيض وإما أن يكون غير أسود وقد تفسر ما نصه الجمع وما نعة الخلو بتفسير أعم من هذا وهو أن ما نعة الجمع هي التي لا يجتمع طرفاها على الصدق، اجتمع طرفاها على الكذب أم لا، ومانعة الخلو بالعكس، فتصدق كل واحدة منها بهذا التفسير الأعم على الحقيقة وهما منافيتان لها بالتفسير الأخص.

❖ ❖ ❖ ❖

والقضية الحملية:

لابد فيها من محكوم عليه ويسمى موضوعا ومن محكوم به ويسمى محمولا، ولابد من نسبة بينهما، ويسمى اللفظ الدال عليها رابطة، وتسمى كيفية النسبة بالضرورة أو الدوام مطلقين أو مقيدين بغير المحمول أو بمقاليهما كذلك مادة، ويسمى اللفظ الدال عليها جهة، ويدخل في ما ذكر الضرورية المطلقة وهي ما يجب محمولها لموضوعها مادامت ذاته كقولك كل إنسان حيوان بالضرورة.

والمشروطة والعامة وهي ما تجب محمولها لموضوعها مادامت ذاته كقولك كل إنسان موصوفا بالوصف الذي عبر به عنه من غير تقييد بنفي الدوام كقولك عن كاتب متحرك الأصابع بالضرورة مادام كاتبا، والمشروكة الخاصة وهي مثل المشروكة العامة لكن مع التقييد بنفي الدوام بحسب ذات الموضوع عند تجرده من الوصف الذي قيدت به الضرورة كقولك كل كاتب متحرك الأصابع بالضرورة مادام كاتبا لا دائما.

❖ ❖ ❖ ❖

والوقتية المطلقة:

وهي ما يجب محمولها لموضوعها في وقت معين من غير تقييد بعدم الدوام كقولنا كل كاتب متحرك الأصابع بالضرورة وقت الكتابة، فإن قيدت بعدم الدوام باعتبار ذات الموضوع عند مفارقة الوقت المعين سميت وقتية غير موصوفة بالإطلاق والمنتشرة موصوفة بالإطلاق وغير موصوفة به وهي كالوقتية، إلا أن الوقت فيها غير معين كقولنا لا ممكن معدوم بالضرورة، وقتا ما، أو وقتا ما، لا دائما والدائمة المطلقة وهي ما يدوم محمولها لموضوعها بحسب ذاته كقولنا من جوزي بدخول الجنة فهو منعم دائما، فإن دام المحمول بدوام الوصف الذي عبر به عن الموضوع من غير تقييد بنفي الدوام بحسب الذات سميت عرفية عامة، وإن قيدت به سميت عرفية خاصة، ومثالهما أبدا كالمشروطتين لكن بحذف الضرورة.

❖ ❖ ❖ ❖

والمطلقة العامة:

وهي ما يثبت محمولها بالفعل لموضوعها أو ينتفي عنه من غير تعرض فيها لأكثر من ذلك كقولك كل إنسان ميت بالإطلاق العام، فإن قيد فيها الثبوت الفعلي بنفي الدوام، سميت وجودية لا دائمة لقولك في هذا المثال كل إنسان ميت لا دائم وإن قيدت بنفي الضرورة سميت وجودية لا ضرورية كقولنا كل إنسان ميت لا بالضرورة.

والحينية المطبقة:

وهي التي قيدت نسبتها الفعلية بحين وصف الموضوع كقولنا كل كاتب متحرك الأصابع بالإطلاق حين هو كاتب.

والممكنة العامة:

وهي ما في نسبتها مستحيلة سواء كانت نسبتها واجبة أو جائزة كقولنا كل إنسان حيوان بالإمكان العام وقولنا كل إنسان كاتب بالإمكان العام.

(يتبع)

في ظلال الحديث :

الحديث الثالث والمائة: من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: " ما من عبد قال لاإله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " قلت: وان زنى وان سرق. قال: وان زنى وان سرق، قلت وان زنى وان سرق. قال: وان زنى وان سرق. قلت: وان زنى وان سرق. قال: وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر. " وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال وان رغم أنف أبي ذر... متفق عليه

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، ج5/ص2193/ح5489. ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة، ح137و138وفي كتاب الزكاة ح1654و1655، والترمذي في سننه، الإيمان عن رسول الله ، ح2568، وأحمد في مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري ج5/ص166/ح21504، وابن حبان في صحيحه ج1/ص394/ح169. والحاكم في مستدركه ج4/ص280/ح7638. والطبراني في معجمه الكبير ج7/ص48/6348...

درجة الحديث: هذا حديث صحيح اتفق عليه البخاري ومسلم.

سند الحديث: هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، وقال: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن الحسين عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الدولي حدثه أن أبا ذر رضي الله عنه... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا أبو معمر: هو أبو معمر الحافظ الثبت عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج المنقري مولاهم البصري المقعد، ليس له في الكتب الستة شيء عن غير عبد الوارث وهو أثبت الناس فيه قال ابن معين ثقة ثبت وقال أبو حاتك صدوق متقن غير أنه لم يكن يحفظ وأما زرعة فقال كان ثقة حافظا وقال أبو داود هو أثبت من عبد الصمد وقال يعقوب بن شيبة ثقة صحيح الكتاب. مات في سنة 224.

حدثنا عبد الوارث: هو أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم التنوري البصري، روى له الجماعة، قال أبو زرعة ثقة وقال أبو حاتم ثقة صدوق، وقال النسائي ثقة ثبت وقال محمد بن سعد كان ثقة حجة، وذكره ابن حبان في الثقات قال وكان قدريا متقنا في الحديث، وقال البخاري قال عبد الصمد (ابن عبد الوارث) أنه لمكذوب على أبي وماسمعت منه يقول قط في القدر، توفي بالبصرة في المحرم سنة 180هـ، وقد بلغ من العمر 78 سنة وأشهرا.

عن الحسين: هو المعلم المكتب الحافظ الحجة الحسين بن ذكوان العوذي مولاهم البصري أحد الثقات حدث عن بن بريدة وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن شعيب وقتادة ويحيى بن أبي كثير وعدة. وروى عنه خلق كثير، وثقه أبو حاتم والنسائي. وتوفي سنة 145 وقد جاوز الستين وكان كبير القدر وافر العلم رحمه الله تعالى

عن عبد الله بن بريدة: هو أبو سهل عبد الله بن بريدة بن الحصيب الحافظ الأسلمي المروزي قاضي مرو وعالم خراسان حدث عن عدد من الصحابة، وحدث عنه خلق كثير وهو متفق على الاحتجاج به كان مولده لثلاث سنين مضين من خلافة عمر بن الخطاب وقد عاش مائة سنة توفي سنة 115هـ، وقد نشر علما كثيرا ولله الحمد.

عن يحيى بن يعمر: هو أبو سليمان يحيى بن يعمر القاضي ويقال أبو عدي العدواني البصري الفقيه قاضي مرو روى عن أبي ذر وعمار وعائشة وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأبي الأسود الدؤلي وغيرهم. قيل أنه أول من نقط المصحف وكان أحد الفصحاء الفقهاء. أخذ العربية عن أبي الأسود. متفق على حديثه وثقته. قال أبو زرعة وأبو حاتم والنسائي ثقة وذكره بن حبان في كتاب الثقات وقال كان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علما باللغة مع الورع الشديد، روى له الجماعة، وتوفي سنة 89هـ.

حدثه أن أبا الأسود الدولي: هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي ذكره بن شاهين في الصحابة، ولعله كان واهما في ذلك، فهو من كبار التابعين، وهو أول من تكلم في النحو، بصري ثقة سمع من الصحابة وقاتل مع علي كرم الله وجهه. مات في طاعون الجارف سنة 69 وهو ابن 85 سنة، روى له الجماعة.

حدثه أن أبا ذر رضي الله عنه: هو أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من السابقين الأولين، روي عنه أنه قال: أنا رابع الإسلام وقيل هو خامس من أسلم، أسلم على يده أخوه أنيس، ولما قدم النبي (ﷺ) المدينة أسلم بقية أهله، وكان. رضي الله عنه. أزهد الناس وكان من أوعية العلم، شهد له المصطفى (ﷺ)، بأنه أصدق الناس لهجة، فقال: "ما أظلت الزرقاء، ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر؛ ونزل. رضي الله عنه. بالربذة على ثلاث مراحل من المدينة، حتى توفي. رضي الله عنه. وكان موته سنة 32هـ، وروي له مائة وواحد وثمانون (181)حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم، وهو حجة لمذهب أهل السنة والجماعة أن أصحاب الكبائر لايقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة، ومن هنا لايحق لأحد أن يجزم بالكفر، وهو سبيل الخلود في النار على عاص ما لم يكن كفره بواحا، وشركه صريحا. وهذا في جوهره يبين أن الإسلام دين يريد لأبنائه أن يكونوا دعاة لا قضاة.

المعنى العام

1. تقديم:

لاشك أن أمتنا قد اعتراها من الوهن ومن الضعف، ومن الفساد، ومن فشو المنكرات ما أصاب الأمم قبلها، ولكن لا مقارنة بين أنواع الفساد التي دبت في هذه الأمة، وبين ما اعرى تلك الأمم من فساد، فأمة موسى وأمة عيسى صلوات الله وسلامه عليهما، لا شك أنهما من الأمم المهتدية ولكنهما انحرفتا انحرافا كاملا ولم يبق فيهما على الصلاح قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا قليل، ولا مقارنة بين تلك الأمم، وبين أمم الكفر والضلال، فأمم الكفر والضلال ممن انتحلوا آلهة غير الله عز وجل وكذبوا بالرسل أجمعين، وعبدوا ماعبدوا من أصناف الآلهة المزعومة... لاشك انه لا مقارنة بين أمم الهداية وبين أمم الضلال والكفر، فلا مقارنة بين الصلاح الذي في هؤلاء والصلاح الذي في أولئك.

أقول هذا حتى يستقر في نفوسنا حقيقة أولية، وهي أن هذه الأمة الإسلامية برغم ما فيها من ضعف وتفكك وانحلال إلا أنها أعظم قياما بأمر الله تبارك وتعالى من حيث الجملة، وتنفيذا لكثير من شعائر الدين ومن شعب الإيمان هذه الأمة لاينبغي بتاتا أن ينظر إليها على أنها ليست أمتنا كما يقول البعض بل هي أمتنا، نحن ننتمي إليها، ولاشك أن الحساب عند الله تبارك وتعالى إنما هو بالتفاضل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة:7،8).

حال الأمة اليوم ليس على مايرام، وإن كل غيور على هذا الدين وأهله، تذهب نفسه حسرات على حال المسلمين، ولن أتطرق هنا للوهن الذي أصاب الأمة، أو إلى أنواع الفساد المنتشرة هنا وهناك، حتى ظهر فينا ما أستطيع أن أسميه بالتطبيع مع المنكر والفساد، باسم الحداثة، وباسم التطور، وضرورة العصر وما إلى ذلك مما يختلقه بعض من أبناء جلدتنا وهم يعلمون علم اليقين أنهم على خطأ مبين، ليس هذا وذاك مانقصد الحديث عنه ونحن نستظل بظلال هذا الحديث العظيم، لكن نوع آخر من الفساد الذي أصاب بعضا من أبناء الإسلام جهلا بجوهر الدين ومقاصده الأساسية والعامة، والذي أخذوا يخوضون فيما ليس من مهمتهم ولا من شأنهم، وهو الشق على قلوب الناس، وتوزيع بطائق الإيمان والنفاق والكفر على هذا وذاك وكأنهم بعثوا لذلك، ونسوا مهمتهم الأساسية وهي إخراج غيرهم من بني البشر من ظلمات الغواية والضلال إلى نور الهداية والإيمان...

2. لايجوز إخراج مسلم من دائرة الإسلام:

الإيمان درجات، والصلاح درجات، وكذلك الكفر درجات، والفسق درجات، ففي إطار هذه الأمة، أولا... ينبغي أن نعتقد أنها أمتنا. أمة الإسلام. وأننا ننتمي إليها، وأنها خير أمم الأرض بالرغم مما فيها من علل وأمراض وأنه لايجوز أن يخرج من هذه الأمة إلا من أخرجه القرآن.

أعني من كفر وارتد، وأما من ظلم وفسق وفجر فلا يخرج من هذه الأمة، ولاشك أن الله تبارك وتعالى يختم بالصالحات لهذه الأمة، فإنه قد جاء في حديث الشفاعة أن أهل الجنة بعد أن يجوزوا الصراط، يشفعون في إخوانهم الذين سقطوا عن الصراط، فيقولون: "ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومنون معنا" فيقول لهم الله تبارك وتعالى: "اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه" ثم في النهاية يقول: "فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه.." فيخرجون من النار ثم يترددون هكذا، الله يقول لهم: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه" (قطعة من حديث الصراط والشفاعة أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري).

ثم بعد ذلك يقولون: "يا ربنا لم يبق في النار إلا من حبسه القرآن "أي الكافر الخارج من الملة فقط، فالقرآن حبس من قال الله عز وجل في حقه (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(النساء:48،116).

فهؤلاء الذين حبسهم القرآن وأخرجهم من دائرة الإسلام، وأما من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ولابد، مصداقا للحديث الذي بين أيدينا، وغيره كثير.

3. من نطق بالشهادتين مخلصا لابد وأن يدخل الجنة

من أقر بالشهادتين صدقا وإخلاصا لابد وأن يدخل الجنة يوما من عمره، وإن عذب في الدنيا بما عذب، وإن عذب في الأخرة بما عذب حتى لو دخل النار إلا أن مصيره في النهاية إلى الجنة، فهو جزء من هذه الأمة، حتى وإن سلف منه زنى وسرقة، وهذا كناية عن الذنوب عدا الإشراك بالله تعالى، وإن سلف منه بعض المنكرات، وبعض الفواحش في حق الله عز وجل لكن بانتمائه إلى هذه الأمة وبشهادته أن لاإله إلا الله، وأن محمدا رسول الله خالصا من قلبه، فإنه في الجملة من أهل الجنة، وبالتالي هو في الجملة من هذه الأمة المرحومة، التي رحمها الله عز وجل، هذه ينبغي أن تكون النظرة الأولى إلى هذه الأمة، أنها أمتنا ما يصيبها يصيبنا، فلو كان الله تبارك وتعالى قد من عليك بشيء من الصلاح، وبشيء من التقوى، وبشيء من مخافته سبحانه وتعالى، فإن من مستلزمات هذا الصلاح، ومن مستلزمات هذه التقوى، أن تشعر بأنك عضو في هذه الأمة، وأن كل مسلم يشهد بأن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله هو جزء من هذه الأمة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي قال له: اتق الله، قال: (أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟)قال ثم ولى الرجل. قال خالد بن الوليد: يارسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: (لا، لعله أن يكون يصلي) فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم (أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري.

إذن أيها المؤمن الكريم، لاتجتهد في إخراج أبناء الإسلام من الإسلام، ولكن اجتهد في أن يستقيموا على الإسلام، وإلى اللقاء في الجزء الثاني بإذن الله تعالى.

خطبة الجمعة

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما...

إعداد الأستاذ: عبد الله الطلبي كدير

الخطبة الأولى:

■ الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله السلام الرحمن الرحيم الرؤوف الغفار الحنان المنان الذي جعل راحة القلب المومن في سلامه وسلامته.. الحمد لله الذي وصف خيرة عباده الأبرار الأطهار بأنهم يدعونه ضارعين: "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم" أشهد أنه الله لاإله إلا هو وحده لاشريك له الحكم العدل اللطيف الحليم الكريم الودود الحميد البر التواب الرشيد الصبور، طرد من قلوب عباده الهموم وأقر عيونهم بسلامة القلب، وبراهم من الضغن والحقد لكل الناس أيا كانوا ومهما أذنبوا لايرون لأنفسهم على أحد فضلا بعبادة ولابتقوى عجبا وفخرا واختيالا بل يرون الفضل في ذلك كله لله ومن الله وإلى الله... فتراهم إذا رأوا مكروبا رجوا أن يفرج الله كربه، وإذا رأوا مذنبا دعوا بقلوب منيبة أن يغفر الله ذنبه.. بل هم في عدائهم للكفار والمنافقين لايعادون أشخاصهم بل يعادون ما هم عليه من الكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق.. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله لم يكن يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله، ولم يكن يحب إلا لله وفي الله، ولم يكن يبغض إلا في الله ولله... أو ذي في نفسه وأهله وفي أعز مايعز.. فلم يلعن ولم يسخط بل: "اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون".. وحين أقدره الله تعالى على أعدائه من أئمة الكفر.. لم ينتقم، بل قال لهم: "لاأقول إلا ما قال أخي يوسف لإخوته: لاتثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء"... ولم يكن صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يرى لنفسه فضلا على أحد في نعمة من الله عليه مادية أو معنوية بل كان ينسبها في غير غرور ولافخر ولا اختيال ولاعجب لصاحب الفضل الحق جل وعلا... ويقول كلما أصبح أو أمسى: "اللهم ما أصبح (أو أمسى) بي من نعمة فمنك وحدك لاشريك لك، فلك الحمد ولك الشكر".وكان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إذا رأى مذنبا يناشد ربه في رقة وعذوبة:

إن تغفر اللهم تغفر جما
وأي عبد لك ما ألما

وكان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يحيا قدوة للناس طيبة وأسوة حسنة سليم القلب في أمن وسلام مع كل الناس.. إنسانا عظيما في تواضعه لخلق الله... مرتفعا عاليا ساميا في تواضعه حليما متسامحا يؤثر الصفح ويأخذ بالعفو ويتجاوز عن الخطأ.. ويقول سلاما عند الجهل..أليس هو الذي بلغنا عن ربه عز وجل أنه قال جل من قائل: "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما..."المؤمن الحق الصادق في إيمانه.. لايختال في مشيته ولايتبختر.. ولايمشي مرحا.. لأنه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا.. إنه يمشي في قوة وعزم وحزم.. كأنما ينحدر من صبب.. ويتقلع في مشيته دليلا على التصميم واليقين والثقة بالله أولا ثم الثقة بالنفس ثانيا.. من غير تكلف ولاتصنع لايصعر خده للناس عجبا أو كبرا.. ولايتخلع في مشيته ويتثنى كالمخنثين ولايتمسكن في سيره عجزا أو ضعفا.. إن مشيته تدل على شخصيته وعلى قوة الإيمان واليقين في نفسه، لايتماوت ولايتخاذل ولايذل ولايستكين.. فهو كالدوحة العظيمة المتمكنة جذورها في بقعة فسيحة من الأرض.. والغائصة إلى أبعد عمق في باطنها.. لاتهزه العواصف.. ولاتتهده الزعازع.. ولا تقهره المصائب ولايخشى أحدا سوى الله... ولكنه يحب كل أحد في الله... ويحنو على كل ضعيف في الله..ويسامح ويعفو ويصفح ويسالم تقربا إلى الله... الجاهلون بالعلم يتقرب منهم ويتواضع لهم ويعلمهم ليرفع عنهم عار جهلهم.. والجاهلون بالحلم لايقول لهم: ألا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين..ولا يرد على إساءاتهم بالمثل، بل يترفع عن الدنية، ويزيد نفسه سموا وعلوا وتزكية.. فيقمع الغضب في نفسه.. ويملكها عند الهياج..وإذا خاطبه جاهل بما ينافي العلم... وإذا خاطبه جاهل بما يناقض العلم، لم يقل هو إلا سلاما.. لأن السلام مع النفس بالعلم يكون، ولأن السلام مع الناس بالحلم يتحقق.. وليس السلام ذلة ولا هوان ولا استكانه ولاخنوع .. السلام علم وحلم.. وبالعلم تكون القوة المادية.. وبالحلم تكون القوة المعنوية.. وهما مترابطان ممتزجان ملتحمان لاينفصمان.. كأنهما وجهان لعملة واحدة.. فلا علم بلا حلم، ولا حلم بلا علم.. ولاسلام بدونهما معا..يوم فقدهما المسلمون، غيروا ما بأنفسهم فغير الله مابهم، جزاء وفاقا..فأرادوا سلما ذليلا مستكينا.. فعاشوا في ظل نظام عالمي قديم أتباع كل ناعق تطحنهم الحرب الباردة بين شقي رحى المعسكرين المنهار والذي لابد أنه سينهار .. وهم اليوم في ظل من يحموم لنظام عالمي جديد ينيخ عليهم بكلكله معسكر صهيوني صليبي حاقد يطحنهم تحت ثقله.. فهم بين المجاعات والحروب المبيدة المعلنة والخفية.. ينشدون السلام.. عند من لايعرف لهم سوى الحقد الأسود منذ أقدم الأزمان... ولاسلام لهم ولالغيرهم إلا بأن يعود المسلمون إلى القيادة والريادة في العالم.. ولاسلام إلا بأن يعود المسلمون، خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف بالعلم.. وينهون عن المنكر بالحلم.. ويومنون بالله.. والله هو السلام... ويدعون إلى الله تعالى باللين والحكمة والموعظة الحسنة وبالمجادلة بالتي هي أحسن... لابتكفير الناس ولابهجرتهم والنفور منهم وتنفيرهم.."فالمسلم الحق والمؤمن الصادق إنسان يدخل مع الناس كافة في السلم طاعة لله... يشغل نفسه بالنصح لهم ويترفع عن صغائرهم ولايترفع عنهم أو يتكبر عليهم أو يرى لنفسه هو تفوقا عليهم...

بل يعطف عليهم ويحبهم في وقار، ويقصد إلى فعل كل ماينفعهم ويصلحهم ويدفع الأذى عنهم ويرفعهم إلى الغايات النبيلة في غير عنف ولاأذى ولاتهور ولاشطط، وإن ناله أذى منهم فإنه لا يقابل الأذى بمثله.. ولايترفع عنهم ولايستعلي ولايعجب بنفسه ولايفخر بتدينه... فقد كان الشيطان عابدا.. فرأى أنه خير من غيره فاستكبر وكان من الجاهلين... فأرداه كبره، وحاقت به اللعنة، وطرد من رحمة الله إلى يوم البعث.. وأصبحت خطواته أمرا بالفحشاء والمنكر... وأصبحت سبيله إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس.. والمؤمن الحق يترفع عن الفحشاء والمنكر.. والمؤمن الحق يرفع نفسه والناس كل الناس معه من وهدة العداوة والبغضاء، وإني لأعلنها بكل صراحة وبملء فمي.. إن كل من يسقط في درك العداوة والبغضاء ولايعرف كيف ينصح ولايحسن كيف يهدي فهو أبعد الناس عن أن يكون من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما... لأن المشي في الأرض هونا.. وهو مشي عباد الله الذين شرفهم الله تعالى بأعلى وسام شرف وهو شرف الانتساب بالعبودية إليه .. وسام السكينة والوقار، ويزيد الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: "من غير جبرية ولا استكبار" والمؤمن الحق من عباد الرحمن لايجبر أحدا على مالم يقتنع به.. بل يدعوه ويبشره وييسر عليه ولايعسر حتى يفهم الحق ويحبه.. فيستقيم عليه مرتاحة نفسه في أمن وسلام... والمؤمن الحق في دينه ودعوته إلى هذا الدين لايستكبر على الناس.. رغم مايراهم عليه من جهل.. ورغم مايبدون أنهم يخوضون فيه من جاهلية.. فهم كما يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره أيضا: "إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيء لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولايقولون إلا خيرا.. كما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لاتزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما" وهل هناك جهل بعلم أو جهل بحلم أكثر من جهل الكفر والنفاق وجاهليتهما؟ فاللهم اجعلنا برحمتك من عبادك يارحمن، واجعلنا في عيشنا مع الناس نخالطهم ولانترفع ولانتكبر.. واجعل مشينا بينهم هونا.. في حب وعطف ورحمة ورأفة.. ندعوهم إليك للاستقامة على نهجك القويم وللالتزام بسنة نبيك الغراءفي غير عنف ولاعسف.. اللهم اجعل عيشنا بينهم عيش السلام بالعلم والحلم... وذلل أسماعنا وأبصارنا وجوارحنا للحق وأهله...وارفعنا بهذا الذل العزيز لك حتى نكون أعزة بالإيمان الذي أعززت به أولياءك وعززتهم... نعفو فلا ننتقم، ونصفح فلا نرد الإساءة بمثلها.. ونسامح حين نقدر، من غير إفراط يؤدي إلى العجز ولاتفريط يؤدي إلى الكبر والعجب.. وقربنا إليك وارفعنا أعلى الدرجات لديك بحبنا لك ولعبادك وسعينا فيما يصلحهم وينفعهم.. ياأرحم الراحمين، يارب العالمين..سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أسكن الخوف منه وحده قلوب عباده من المومنين.. فمشوا ويمشون على الأرض هونا ذللا.. أذلة على المومنين أعزة على الكافرين في سلام لا في استسلام.. وأذهب الله عنهم الحزن وهو الغفور الرحمن الرحيم العزيز الكريم... وهم في عزتهم بالإيمان لايدفعون السيئة إلا بالحسنة ويعفون ويصفحون ويقولون لمن خاطبهم من الجاهلين منافقين كانوا أم مشركين سلاما... يريدون بذلك مصلحتهم ومنفعتهم في الدنيا ونجاتهم من هول عذاب الله في الأخرة... وصلى الله عليه وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. قدوة عباد الرحمن الطيبة وأسوتهم الحسنة في العزة بالإيمان... وبالتذلل للناس رغبة في تقريبهم إلى الله ونصحهم في الله بلا رغبة في جزاء ولاشكور...

أيها المؤمنون الأبرار من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

أخرج الإمام أحمد بإسناد حسن... عن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: وسب رجل رجلا عنده، فجعل المسبوب يقول: عليك السلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "أما إن ملكا يذب عنك، كلما شتمك هذا، قال له: بل أنت وأنت أحق به وإذا قلت له وعليك السلام قال: لا وعليك وأنت أحق به" فيا أيها المؤمنون.. ياعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا.. عيشوا بسلام.. وأفشوا السلام.. وأبشروا بالجنة دار السلام... ويقرب الرحمن السلام... والله لن تذلوا ولن تخزوا أبدا مادمتم متمسكين بالإسلام دين السلام.. وتذكروا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.. واعلموا أن المسلمين فيما هم عليه الأن من تداعي الأمم وتكالبها عليهم وإعلانها الحرب عليهم.. ودسها الدسائس للنيل منهم فإنما ذلك لهوانهم على أنفسهم ولتفريطهم في حق إخوتهم.. وقد غيروا مابأنفسهم فغير الله مابهم.. فإلى الله المشتكى وإليه المرجع والمصير، ومنه نرجو المدد والعون والنصير بولائنا له وحده.. وهو نعم المعين ونعم السند ونعم الولي ونعم النصير...

اللهم اجعلنا سلما لمن والاك حربا على من عاداك حتى نعيده إلى الجادة القويمة والسنة المستقيمة والمحجة الغراء الحكيمة بالدعوة إليك بالحق وأنت الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي أحسن.. اللهم وفق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها للعودة إلى الألفة قلوبا وعقولا وقولا وفعلا، والاعتصام بحبلك المتين.. والتمسك بسنة نبيك الأمين.. السنة الغراء التي لايزيغ عنها إلا هالك.. واجعلهم من أهل الإسلام والسلام... وأنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام، فحينا ربنا بالسلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام.. أمير المؤمنين سادس المحمدين اللهم توج مساعيه في حله وترحاله بالنجاح لإحلال السلام في أرضك الطيبة.. بين المؤمنين وإخوتهم في الله وبينهم وبين غيرهم ممن يضمرون أو يظهرون لهم العداوة والبغضاء والحرب.. وأعنهم عليهم بعزة الإيمان والإسلام حتى يأخذوا بنواصيهم إلى السلام والإسلام وأقر عينه بولي عهده الحسن وبصنوه الرشيد وبسائر أهله وولده وبشعبه المؤمن المسلم المتحد المؤتلف المسالم... وبكل من يمت إليه بصلة.. واجعل الجميع من حسناته..

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة وكل المسلمين اللهم أنت ربي فاغفرلي مغفرة شاملة وكل المسلمين ربنا اغفر لنا ولإخواننا من المسلمين المسالمين ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما...

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه مسلما مسالما لكل خلقك إلى يوم الدين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثانية

علم التوقيت : وحساب مواقيت الصلاة

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ نعم هذا شيء جميل، ولكن ما مصير مقررات علم الفرائض في المدارس، فهل ياترى نستغني بهذا البرنامج عن دراسة وتدريس علم الفرائض فقها وعملا؟

وبدأنا نسمع غير ما مر، سواء في جانب علم المواقيت، أو علم الفرائض أنه لم يعد هناك داع إلى دراسة هذا العلم أو ذاك ما دام أن هناك برنامج جاهز لاستخراج النتائج المطلوبة، وعليه فإن اشتغال الإنسان بدراسة هذا مع وجود البديل يكون مضيعة للوقت، وقس على هذا علم العروض، فقد برمج هو الآخر، وكذلك علم الهندسة، والرسم، فقد برمج كل ذلك، إذا فلا داعي لدراسة علم الهندسة، وحساب المثلثات، وجميع أنواع الرياضيات، ما دامت هناك برامج تحل بها جميع المعادلات الرياضية بلا كلفة، وسمعت مرة من طالب صغير بالإعدادي يقول : إن حفظ جدول الضرب مضيعة للوقت لأن هناك آلة حاسبة رخيصة الثمن لا يتعدى ثمنها عشرة دراهم تقوم بجميع أعمال الحساب.

أقول إذا كان الأمر بهذه المثابة. فسلام على العلم والتعليم، وسيبقى الإنسان منقادا لهذه الأجهزة متكاسلا عن شق الصعاب في الحصول على العلم من أصوله، وليس علم المواقيت هو حساب النتائج فقط، بل هناك فقه متكامل، وآراء، وأقوال، واجتهادات، وحالات، ثم هناك أمور لا بد من معرفتها في جانب علمي الهيئة والرياضيات.

نعم نستعين بهذه الأجهزة، و لكن بعد درس العلم من أساسه والتبحر فيه، ولا يجوز أن نعتمد على برامج جاهزة لا ندري على أي قاعدة برمجت، ولا كيف برمجتها، ونجهز على العلم اتكالا على الكمبيوتر.

وها هي برامج وضعت في حساب ضوابط رؤية الهلال، فمع مرور الزمن بدأت أخطاء تظهر منها على السطح، وقد نبهنا عليها في عدد سابق رقم 1039 من هذه الجريدة.

فنحن بحمد الله مع استطاعتنا برمجة جميع المطالب الفلكية على الكمبيوتر، وقد وضعت برنامجا جاهزا في غاية الدقة يعطي مواقيت الصلاة لجميع عروض العالم، ومع ذلك فإننا ننصح طلبتنا بتدريس العلم أولا، ثم بعد ذلك لا بأس بالاستعانة بالآلة الحاسبة أو الكومبيوتر.

ولنعد الآن إلى مواصلة الكلام عن مواقيت الصلاة

إذا كان الفقه يقرر أن معرفة وقت الصلاة واجبة على كل مكلف أمكنه ذلك، ومن صلى شاكا في الوقت بطلت صلاته ولو أوقعه فيه، قرر بأنه لا يجوز للإنسان الدخول في الصلاة حتى يتحقق من دخول وقتها، والوقت هو الزمن المقدر للعبادة شرعا، وهو إما وقت أداء أو وقت قضاء، ووقت الأداء . إما اختياري . وإما فضيلة . أو توسعة، فالوقت المختار للظهر من حصته إلى وقت العصر، والمختار للعصر من حصته إلى الاصفرار، وضروريهما إلى الغروب، والمختار للمغرب من حصته إلى مقدار ما تصلي فيه بعد شروطها ، والمختار للعشاء من حصته إلى ثلث الليل الأول من الليل، وضروريهما إلى طلوع الفجر، والمختار للصبح من وقت الفجر إلى الاصفرار الأعلى وضروريته إلى طلوع الشمس، والقضاء في الجميع ما وراء ذلك، وإيقاع الصلاة في كل من الوقتين الاختياري والضروري يسمى أداء، إلا أن الإثم على من أخر الصلاة إلى الوقت الضروري بغير عذر، من حيث أن هذا الوقت لم يرخص للشارع في إيقاع الصلاة فيه إلا لأرباب الضرورة دون غيرهم، ومن أخر الصلاة حتى خرج وقتها فعليه الإثم إلا لعذر مقبول، والصلاة قبل الوقت باطلة كما قلنا إلا ما رخص الشارع فيها كالجمع للمطر مثلا، ولا تصلى نافلة بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس بقدر رمح، وهو مقدر بحوالي ارتفاع خمس درجات، ولا بعد صلاة العصر إلى المغرب، ولا بعد طلوع الفجر إلا الورد لنائم عنه، ولا عند جلوس إمام الجمعة على المنبر، ولا بعد الجمعة حتى يخرج الناس من المسجد، واختيار الوتر من العشاء إلى الفجر وضروريه إلى صلاة الصبح، وليس النهي عن النافلة في هذه الأوقات على جهة الحرمة على عمومه، بل تكره النافلة في بعضها، وتحرم في البعض الآخر، أنظر تفصيل ذلك في فروع الملكية، وصلاة الضحى من وقت حل النافلة إلى الزوال، وهي وقت صلاة العيد، ويقضى الفجر في هذا الوقت، والصيام من حصة الفجر إلى حصة المغرب.

وقتا الظهر والعصر واستعمال التمكين في مواقيت الصلاة

كان فيما مضى يعتمد في التوقيت أساسا على الساعة العربية المحلية، أي التي تكون دائما مضبوطة على الساعة 12 عند حلول الشمس في دائرة نصف النهار وعندما يكون ظل القائم على خط الزوال، كما تقدم ذلك لنا مفصلا في أحد المقالات السابقة التي كنا نتحدث فيها عن آلة بيت الإبرة فراجعه إن شئت.

وكان يؤذن للظهر الأول فيما مضى حينما تكون هذه الساعة على 12س و15 ق، وكانوا يعتبرون هذه الدقائق الخمسة عشر زيادة في التمكين، مع أن الفيء يحصل بنحو 5 دقائق كما تقدم لنا في المقال السابق المشار إليه، وكما المعمول به الآن في الحصص الرسمية المعتمدة.

ولما كان الفرق بين الساعتين قد يصل إلى نحو الساعة في بعض مدن المغرب، كان من المناسب للموظفين الذين لهم ارتباط بالساعة الإدارية، أنهم . إذا اعتبرنا وقت الظهر على الساعة 12 و15 ق، فمع زياد الفرق بين الساعتين قد يصل ذلك إلى نحو الساعة 1 والربع، ومع زيادة ربع الساعة للوضوء في المساجد بعد الأذان تكون الإقامة للصلاة على الواحدة والنصف، مما يتعذر معه الاستعداد للغذاء والعمل، سيما وأن الوقت قد يضيق مع وقت الاستراحة والمواصلات، فكان من الأنسب أن يؤذن للظهر على الساعة 15 و5 ق عربية بدل الساعة 12 و15 ق.

وهناك حصة أخرى للظهر تسمى بالظهر الثاني، بحيث تزاد ربع قامة على ظل الزوال وهذا الوقت هو الذي تستحب تأخير الجماعة إليه.

أما وقت الظهر من غير تقييد فهو وقت الزوال.

وتحديد الأوقات مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم (صلى به جبريل الظهر حين زالت الشمس، والعشاء حين غاب الشفق، والصبح حين طلع الفجر، ثم صلى بي في اليوم الثاني الظهر حين كان ظل كل شيء مثله، والعصر حين صار ظل كل شيء مثليه، والمغرب حين غربت الشمس، والعشاء حين مر من الليل ثلثه، والصبح حين أسفر الفجر. انتهى.

ويشير صاحب روضة الأزهار إلى القاعدة العامة في استخراج حصتي الظهر والعصر الأولين بقوله :

تعلم ظل الارتفاع أبدا
إلى الزوال قل كما تمهدا
وزد عليه قامة للعصر
وزد عليه ربعها للظهر

ثم يشير إلى حدود آخر وقت الظهر الاختياري وأول وقت العصر الاختياري بقوله :

ووقت آخر صلاة الظهر
أول وقت لصلاة العصر

ثم يشير في الروضة أيضا إلى آخر وقت العصر الاختياري بقوله :

وآخر العصر لظل الارتفاع
وقامتين أبدا وذاك شاع

ويعلق سيدي عبد الرحمان البعقيلي على ذلك بقوله :

اختلف في آخر وقت العصر الاختياري، فقيل تمام قامتين بعد ظل الزوال، وهو رواية ابن عبد الحكم في المختصر، وقيل الاصفرار وهو رواية بن القاسم في المدونة وهو المشهور انتهى.

واعلم أن وقت الزوال هو يتقدم دائما في البلاد الشرقية عن الغربية فهنا في المغرب الزوال بمدينة وجدة يتقدم على الزوال بتازة، وتازة تتقدم على فاس، وفاس يتقدم على مكناس ومكناس يتقدم على الرباط، وهكذا حسب وصول الشمس دائرة نصف نهار في المكان، وهذا التتابع في وقت الزوال كل يوم يكون على مدار السنة، ولا يقاس على ذلك حصة العشاء، وبيان ذلك أن مدينة وجدة هي أكثر طولا من الراشيدية، حيث إن الفرق بين الطولين 9 د و 34 ثانية، فالزوال في وجدة يوم 24 يونيه أفرنجي من كل سنة يكون الظهر على الساعة 12 و بتوقيت جرينتش، وفي الراشدية على الساعة 12 و25د، بينما العشاء يكون في وجدة على الساعة 9 و18د، وفي الراشدية على الساعة 9 و14 د، فالظهر يتقدم في وجدة ويتأخر في الراشدية لأن الراشيدية أكثر طولا من وجدة، في حين أن العشاء في هذا اليوم من السنة وما قاربه يتقدم العشاء في الراشدية على وجدة، وهذا قد يطرح إشكالا من لا دراية له بعلم الهيئة.

وهذا يتكرر كثيرا حينما تكون الشمس في برج السرطان في كثير من مدن المغرب.

وقد سألني أحدهم عن سبب ذلك. لعرض تيزنيت، فحاولت توضيحه له على مقتضى ضوابط علم الهيئة.

وبيانه أن المدار اليومي للشمس بوجدة والراشدية يقاطع دائرة نصف النهار في برج السرطان، أي في الانقلاب الصيفي في نقطتين، نقطة من الأعلى عند غاية الارتفاع، فالغاية جنوبية، والشمس بجنوب المكان ولكن عند غروبها يتحول إلى الشمال، وتغرب في الربع الشمالي الغربي وتكون لها سعة، وأن المدار ينقلب إلى جهة الشمال فتجد شعاع الشمس يتأخر في جهة وجدة لأن الشمس انتقلت إلى الشمال قرب وقت العشاء، بينما الظلام يتسابق في جهة الجنوب أي جنوب وجدة وهو جهة الراشدية مثلا.

أما حصتا المغرب والشروق

هاتان الحصتان بالأفق، فبالنسبة للمغرب يرتبط ذلك بالأفق الغربي، وارتفاع المكان عن سطح البحر، وبالنسبة لحصة الشروق فيتعلق ذلك بالأفق الشرقي وارتفاع الماكن عن سطح البحر أيضا، وحصة الشروق تدرج من حصص مواقيت الصلاة لما ينبني عليها من أحكام صلاة الصبح والفجر، وتبيان وقت القضاء والأداء.

وقد قرر علماء التوقيت أن لكل بقعة ثلاثة آفاق متوازية:

- الأول: الأفق الحقيقي- وهو دائرة عظيمة قطبها سمت الرأس والقدم، وسطحها يمر بمركز العالم، أعني بنقطة في وسط داخل كرة الأرض، والدائرة العظيمة في اصطلاح أهل الهيئة هي التي تقم الفلك والأرض بقسمين متساويين، وباعتبار هذا الأفق وقع حساب الأعمال.

- الثاني: الأفق الحسي: وهو دائرة موازية للأفق الحقيقي، وسطحها يمر بوجه الأرض فهي فوق الأفق الحقيقي، وبعد مابينهما بقدر نصف قطر الأرض، وهذه الدائرة ليست بعظيمة لأنها ماست سطح الأرض، ولم تقسمها كما أنها قسمت الفلك بقسمين غير متساويين، أصغرها الأعلى، وباعتبار هذه الدائرة يعرف ارتفاع الكوكب وانحطاطه، فما كان فوقها فهو مرتفع، وماكان تحتها فهو منحط.

الأخلاق الإسلامية في المدارس العتيقة بالمغرب

■ إعداد الأستاذ: عبد العزيز محمد

خامسا: مناهج تدريس الأخلاق في المدارس القرآنية العتيقة:

المعلم الفقيه، هو الشخصية المثالية التي يواجهها الطفل أول التحاقه بالمسيد. فهو بعد الأب البيولوجي، الإنسان الذي يطبع المتعلم بسلوكه وتصرفاته وحركاته وسكناته. كيف لا، وهو الحامل لكتاب الله، والإمام في الصلاة، والمقدم في كل صغيرة وكبيرة في الدوار. والطفل إذا اتخذ من سيرة هذا الفقيه نموذجا، فإنه يكون قد أصاب الهدف.

فالفقيه بالإضافة إلى المناهج الثابتة التي من أجلها تعاقد مع سكان القرية، وهي تعليم القراءة والكتابة، وتحفيظ كتاب الله للصغار. فإنه مع ذلك يدرج بعض المواد الموازية والمكملة للعملية التعليمية، والتي يراها ضرورية للحياة العملية للطفل خصوصا عند مغادرته للمسيد.

ومن هذه المواد:

أ. الحساب:

إذا كان المعلم له إلمام بمادة الحساب (العمليات الأربع) يدرج هذه المادة للطالب الذي يرى فيه استعدادا لذلك، فيشرع في تعليمه الأرقام الغبارية، ثم يبدأ معه في العمليتين الجمع والطرح حتى يستوعبها، وينتقل إلى عملية الضرب.

وقبل الشروع في هذه العملية يعلمه إسقاط الاعداد على الحروف الأبجدية، ثم يكتب له في الفراغ المخصص لمثل هذه المواد الاضافية، أسفل الحصة اليومية من القرآن الكريم، جدول الضرب منظوما بالحروف. وهذه المنظومة يطلقون عليها اسم "الحمارة" اعترافا بأن راكب الحمارة سيصل ببطء إلى الهدف المطلوب.

ولتقريب العملية بهذه الحمارة نذكر البيت الأول منها:

ف: بَبْدُو وبَجْوْ بَدْحْ بَهْيْ وَبَوْبِيْ .
بَزْدِيْ وَبَحْوِيْ بَطْجِيْ بَيْكْ

والمعنى:

الباءX الباء= الدال: أي 2X2 = 4. وهي الكلمة الأولى من البيت (ببد).

الباءXالجيم= الواو: أي = 3X2 6. وهي الكلمة الثانية من البيت (بَجْوْ)

الباء X الدال= الحاء: أي =4X2 8. وهي الكلمة الرابعة من البيت (بَدْحْ)

الباء X الهاء= الباء: أي 5X2=10. وهي الكلمة الرابعة من البيت (بَهْيْ)

الباءX الواو= الباء Xالباء: أي 6X2 = 12. وهي الكلمة الخامسة من البيت (بَوْبِي)

الباءXالزاي = الدالXالباء: أي 7X2 =14. وهي الكلمة السادسة من البيت (بزدي)

وهكذا.. إلى آخر المنظومة المكونة من 8 أبيات.

ب. يجعل المعلم نصب عينيه تزويد التلاميذ بمجموعة من الحكم والمواعظ والأمثال المرتبطة بتوجيه الأخلاق، وتقويم الشخصية، وامتلاك آداب التعامل والتواصل.

وهذه الحكم والمواعظ تارة تكون شفوية توجه إلى الجميع قبل نهاية الحصة الصباحية والمسائية، وتارة تكون إيحائية لشخص معين لتقويم اعوجاج رآه الفقيه مستحكما في التلميذ المستهدف.

ومن أمثلة هذه الإشارات التي تختص بحالة منفردة يختص بها تلميذ أو طالب معين:

1. قد يرى الفقيه أحد التلاميذ يخالط من لايستحق المعاشرة والمخالطة، فيخاف عليه أن ينزلق معهم، ويتشكل بأخلاقهم، فيميل إلى لعب النرد، وشرب الدخان، وغير ذلك من الانحرافات التي لاتحمد نتائجها.

وعندما يأتي هذا التلميذ لتصحيح لوحه، يوجه إليه الفقيه الانذار على شكل نص يكتبه تحت لوحه:

أيا طالب تنشد يوم المعاد
ابعد عن أهل الغي والفساد
وكن مخالطا لأهل السنة
خليفة الرسول زين الأمة
ولاتخالط متبع هواه
فيعميك الله كما أعماه

وهذا التوجيه ليس هو الأخير، بل كل فقيه تجد عنده حكما وأبياتا تخالف الأخر، لكنها تصب في نفس الهدف، مثلا:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولاتصحب الأردى فتبقى مع الأردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالقرين يقتـــدي

2. قد ينظر الفقيه إلى تلامذته، فيتفحصهم واحدا واحدا، فيرى علامة الفرح والسرور بادية على بعض، وعلامة الكآبة والشؤم على وجوه أخرى، فيحاول استقراء هذه الظاهرة، محاولا التخفيف من صدمة المصدومين، ويشجع الابتسامة وطلاقة المحيا وإبداء السرور الذي يعكس ماتضمره النفس من الأعماق.

فيمثل بالآيتين الكريمتين:

(وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة، ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة)
(تعرف في وجوههم نضرة النعيم).

وإذا كان التلميذ مراهقا، فإنه يتبرم من التعريض له أمام أصدقائه، فيكتب أسفل لوحه:

إذا كنت لم تعرف حبيبك في قوم
فانظر إلى الحب بين الحواجب
فلا خير في وجه تراه معابسا
وكل عبيس الوجه فيه المصائب

3. قد يكون من بين الطلبة المرتبين الافاقيين، طالب كسول، لايهمه إلا الهروب من أسرته التي تحمله القيام بالأعمال الشاقة من حرث وحصد، ومغارسة... فيخنش لا ليتعمق في الدراسة، بل لتطويق الخناق على زملائه في الرتبة واستهلاك الخبز بدون فائدة، فيعرض له الفقيه منتقدا هذه الحالة على شكل تقريع يشبهه بالحيوانات (البقر) التي تأكل لتعيش وتكديس الشحم واللحم، فيكتب له تحت اللوح:

إذا كنت لم تغفل عن الدرس والنظر
تنال قراءة وتسمو على البشر
وإن كنت لم تغفل عن الأكل والشراب
تنال به شحما وتسمن كالبقر

4. هناك تلاميذ وطلاب ينقصهم التركيز، ولا يهتم بقيمة الوقت الذي يعتبره الفقيه المعلم أثمن رصيد في حياة الإنسان، فينبهه إلى قيمة الزمن الذي هو محاسب عليه أمام الله تعالى، ومطالب بتقديم لائحة مفصلة عن تدبيره، فيوجه له ذلك كتابة فيقول:

إذا كنت لم تقرأ ولم تكن فاهم
فموتك خير من حياتك دائم
نهارك باطل وليلك نائـــم
وعيشك في الدنيا كعيش البهائم

5. آخر يحثه :لى الجد والاجتهاد:

ياطالبا تقرأ في البوادي
إقرأ وشد حزامك يالبجادي
لو كانت القراءة بالرقاد
لحفظه القط في الرماد
كدس وادرس وكالنعاس
اليوم "سي" وغدا "خماس"

6. قد يتلمس الفقيه المعلم في تلامذته

الحلقة الثالثة

نوعا من التساهل في التأدب مع تلاوة كتاب الله، فيقدم على القراءة دون مراعاة قواعدها الشرعية المؤطرة بقواعد التجويد والترتيل، فيقضمه قضما، وينهشه نهشا. فلا هو استفاد، ولا ترك المستمع في راحة مع ذاته، فينبهه الفقيه بكيفية بيداغوجية رفيعة، حيث يكتب له أسفل لوحه:

أيا قارئ القرآن رتل حروفه
مع الزهد والتقوى لعلك ترشد
فأما الذي يقرأ ويعرف حدوده فيأتي إلى حوض النبي فيسعد
وأما الذي يقرأ ويتعد حدوده
فيأتي إلى حوض النبي فيطرد
فهذا جزاء من يعاند ربـه
ويعصي كتابا جاء به محمد

7. وفي إطار غرس محبة كتاب الله في نفوس الأطفال، وتعظيم رسمه وكتابته، ينبه الفقيه الطالب الذي يستهتر بعدم إعطاء كل حرف حقه من طول وقصر، وامتداد.. فيكتب للطالب الذي يقصر الباء في "بسم الله الرحمن الرحيم" فيقول:

وطول الباء في "بسم الله"
تعظيما وتشريفا لله
وقيل طولت لأنهـــا
مبداة من ألف في رسمها
ويستحب الجر بعد السين
وقبله مكروه يامسكين

8. وعندما يقرر الطالب الرحلة من قريته إلى قرية ثانية بحثا عن الشيوخ والتعمق في العلم والسند العالي يستأذن أستاذه الأول، فيأذن له، ويزوده بنصائح مهمة منها:

أولا: يحثه على الرحيل، وأن ذلك مشروع، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث هاجر من مكة إلى المدينة، فيكتب له أسفل اللوح يبين له أسباب الهجرة والرحلة.

إذا كنت في أرض يذلك أهلها
ولم تجد مكروما فمنها تحولا
لأن رسول الله هاجر مكة
إلى بلد العز ففيها تنزلا

ثانيا: يزوده بالتشجيعات الكافية لمواجهة مشاكل السفر، وعواقبه، من غربة وتحمل مشاق الطريق وخطورة اللصوص والحيوانات، فيكتب له أسفل اللوح:

إذا كنت يا أخي غريبا مسافرا
فخفت من اللصوص والبيت في الخلا
عليك بـ "قل" و "إن"و "ما إني" في هود
و"كأين"مايفتح، وليس مكملا

ففي البيت الثاني ست كلمات هي: افتتاح آيات قرآنية يرددها الطالب الخائف ليحصل له الأنس، ويتقوى فيه الإيمان فيحفظه الله من المكروه الذي يواجهه.

9. وفي هذا الإطار، فالطالب قد تواجهه عراقيل ومصائب، قد يصعب عليه مواجهتها ماديا وعضليا، فتدور عليه الدوائر، وتقفل في وجهه الأبواب، ويحيط به اليأس، وحينها يبقى أمامه اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، فيذكره الفقيه بهذه الحقيقة فيقول له:

يسائلا عن تفريج الكروب
فخذ هداك الله للمرغـــوب
ففي سواد اليل صل أربعا
و "حسبنا الله" قاف (100) فاسمعا
وتسبيح ذا النون خذ في الثالثة
و "فعسى الله"وهي الرابعـــة
وماله التفويض لله الأحـــد
بها كفاية لشر من حســـد

10. ومما يشعر به الفقيه بأن عليه واجب تلقين التلاميذ (خارج إطار حصة الدروس الرسمية) مبادئ العقيدة الإسلامية حتى يتسلح بمبادئ التوحيد والعقيدة الاشعرية، فيلقنهم النشيد الذي يفتتح بالتوحيد المصحوب بالتضرع إلى الله باستجابة الدعاء:

الله حي صمد ويـــاق
سبحانه ذو كنف وواق
يارب نجنا من الوبـــاء
والطعن والطاعون والبلاء
يارب واحفظنا من الأعداء
والجوع والبأساء والضراء
يارافع السما بلا عمـــاد
ألطف بلطفك على العباد
يارينا ياسامع الدعـــاء
أنزل لنا العفو من السماء

11. بالإضافة إلى ذلك يلقنهم بكيفية جماعية:

. دعاء التشهد
. دعاء القنوت
. الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة: اللهم صل أفضل صلواتك على أشرف مخلوقاتك...
. الدعاء بعد الانتهاء من ترديد الحروف الهجائية: وهي وبالله التوفيق والتوفيق من الله، والشيطان أخزاه الله، القبلة بلا كرا، والما بلا شرا الله ينعل تارك الصلاة، لا من الرجل، ولا من المرأة...

12. ومنها تلقيم التلاميذ، الأعداد الطبيعية مقرونة بإشارات إسلامية معلومة من الدين بالضرورة، ومن أمثلة ذلك: حوار بين الفقيه والتلاميذ قبل انصرافهم إلى منازلهم في الفترة الصباحية.

الفقيه يسأل والتلاميذ يجيبون جماعة

أش هو1؟ واحد: هو الله.
أش هو2؟ الشهادتان: أشهد أن لا إله إلا الله
و أن محمد رسول الله
أش هو3؟ 3 مساجد عظيمة عند الله
أش هو4؟ أربعة كتب أنزلها الله على رسله
أش هو5؟ خمس صلوات في اليوم
أش هو7؟ أيام الله سبعة
أش هو8؟ أصحاب الكهف ثمانية
أش هو10؟ عشرة أصحاب النبي
أش هو11؟ إخوة سيدنا يوسف: 11
أش هو 12؟ 12 عدد الشهور عند الله.

وبعد،

هكذا ينشأ الطفل في كنف المدرسة القرآنية العتيقة بالمغرب يتعلم ويتأدب ويتخلق، فيخرج منها وهو قد اكتسب مناعة كافية تحميه من العواصف الهوجاء والحمم الحارقة التي تقذف بها وسائل الاعلام المختلفة، مسلحا بالعقيدة والأخلاق والسلوك، يحب الحياة ويحترمها، يقدس الزمن والانخراط في المجتمع، يجتهد لخلق فرصة للعمل ليحافظ على أنسيته وكرامته، يحب بناء الأسرة بنفس المقدار الذي يبني فيه المجتمع.

إنه المسلم المعتدل الذي يرى الحياة جميلة، منبثقة من مجال الكون الذي هو جزء من جمال الله "إن الله جميل يحب الجمال" يحب التعايش والتمازج والانسجام، ويكره العنف والتطرف والانعزال، عندما يقرأ القرآن تنطبق عليه الأوصاف التي في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المومن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب، وريحها طيب".

وهو المسلم الذي يحتاج إليه العالم اليوم ليحمل رسالة الإسلام، ليعم السلم والسلام.اللهم آمين.

ما جاء من غريب القرآن في ديوان العرب

■ ذ مصطفى أصبان الحسني

■ أنبأنا سعد بن أبي سعيد، أنبأنا عيسى بن داب، عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد، عن أبيه، قال: بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة المشرفة وقد أحاط به الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له، فقاما إليه فقالا: : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب. قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: «عن اليمين وعن الشمال عزين»، قال: العزون حلق الرفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟، قال نعم، أما سمعت عبيد الله بن الأبرص يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى
ºيكونوا حول منبره عزينا

قال: وأخبرني عن قوله تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة»، قال: الوسيلة معناها الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة
أن يأخذوك فكحلي وتخضبي

قال: أخبرني عن قوله تعالى: « القانع والمعتر »، قال القانع الذي يقنع بما أعطي، والمعتر الذي يعترض الأبواب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر يقول:

على مكثريهم حق معترابهم
وعند المقلين السماحة والبذل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: « وقصر مشيد »، قال: مشيد بالجص والآجر، قال: وهل تعرف العرب ذلك، قال: نعم، أما سمعت عدي بن زيد يقول:

شاده مرمرا وجلله كا
سا فللطير في ذراه أكور

قال: أخبرني عن قوله تعالى: « شواظ »، قال: الشواظ اللهب الذي لا دخان له، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟، قال: نعم، أما سمعت أمية بن أبي الصلت يقول:

يظل يشب كيرا بعد كير
وينفخ دائبا لهب الشواظ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: « قد أفلح المؤمنون »، قال: فازوا وسعدوا، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟، قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة:

فاعقلي إن كنت لما تعقلي
ولقد أفلح من كان عقل

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

مسيلمة الكذاب الجديد...

■ وقعت بين يدي هذه الأيام مجلة تصدر في القاهرة، وعلى صفحتها الأولى صورة لغلاف كتاب بعنوان: "الفرقان الحق" وتساءلت: ماذا وراء الأكمة، وبعد قراءة تعليق المجلة على الكتاب، علمت أن مجموعة من الصهاينة وراء العمل المشين ويهدفون منه إلى خلق بلبلة في العالم الإسلامي بين المسلمين، وأنهم يهدون لهم مصحفا جديدا للفرقان الحق، وتذكرت آنئذ أن مسيلمة الكذاب ليس وحده، بل توجد في عصرنا نماذج شبيهة به وقرأت فقرات من ذلك المسخ، الذي جعلوا له فاتحة، واقترحوا تشطيب آيات من مصحف القرآن الكريم زادني ذلك اقتناعا بأن العقيدة الإسلامية مستهدفة، وأن المسلم المتمسك بدينه أصبح اليوم كالقابض على جمرة النار.

ماذا يريد خصوم الإسلام؟ ألا يكفهم هذا الدمار الذي يلحقونه بشعوب الإسلام في فلسطين والعراق وفي كل بلد إسلامي، لقد اتهموا الإسلام بالإرهاب وهو بريئ، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ بذريعة الارهاب، وآخر ماارتكبوه إطلاق الصواريخ على الأطفال في رفح مما جعل مجلس الأمن يدين تلك الغارة الوحشية على المدنيين الآمنين.

ولشدة جهلهم التام بالإسلام وعدالته وقيمه تعاموا على جانبه السلمي والإنساني، وماعلموا أن الإسلام أقام جميع العلاقات البشرية على قاعدة السلم والأمن، لا الحروب والتصارع، ونهى عن الغدر والخيانة والاستعلاء القائم على الاستهتار والتشفي، وإن الله سبحانه جعل معيار التمييز بين الناس التنافس في الخير والارتقاء في البذل والعطاء "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ونهى رسول الله عن التمثيل بقتلى الحرب وهم أعداء، كما نهى عن إيذاء البيئة بالإحراق والقطع وازهاق الحيوان تسلية للنفس وإشباعا للغرور.

الأصل عند المسلمين الانفتاح على الناس "فكلكم لآدم وآدم من تراب" والتعارف ركن مهم من أركان العلاقات الإنسانية العامة "إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" وبذلك تتقلص مساحات الاختلاف، وتتسع مساحات التفاهم والانسجام.

إن البشرية في سعيها لتحقيق الطمأنينة والسلام العالمي تحتاج إلي أكثر من القوة العسكرية الفاعلة المؤثرة، تحتاج إلى إغلاق أبواب الفتنة وتجفيف منابع الإفساد، وقد عالج الإسلام الأسباب وقدم ذلك على مسكنات الأمراض الظاهرة أوالآثار الناجمة، فالأنانية والانغلاق والتقوقع والتخوف من كل جديد، والنظر بعين الريبة إلى كل مستحدث، وعدم الاطمئنان إلى كل غريب.

والوسطية في الإسلام لاتعني الانغلاق على النفس إنما تعنى الالتزام في حمل دعوة التوحيد، وهي مأمورة بالتبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة، مادام الهدف هو فتح باب الهداية لاغلق باب التفاهم والتواصل. وتأدية لواجب الأمانة أن نشرع في بناء مجتمع ملتزم يرى فيه الناس ويلمسون آثار الإسلام على أفراده وجماعاته، وهذا أفضل وأحسن من أن نسمع مالا نرى، ونقرأ مالا نعايش.

وينسب للعارف بالله
الشيخ سيدي أحمد بن ناصر (رضي الله عنه)

يارحمة الله جُدْي السير على عجل
لرفع ما حلّ بالإسلام من وجل

وبعْدي الشر عن قربان ساحتنا
ودافعي كل داء مختف وجل

وبدلي خوفنا أمنا وعافية
طول الحياة ويوم الهول والزلل

وألبسينا من الستر الجميل ومن
تقوى الإلاه جميل الحل والحلل

وأصلحي الدين والدنيا لنا كرما
وزينينا بوصف العلم والعمل

وبلغينا من الخير العميم ومن
رضوان خالقنا نهاية الأمل

بحرمة المصطفى وجاه بقعته
والصحب والحسنيين والإمام علي

يارب صل وسلم بالدوام على
من نرتجي أن يجيرني ويشفع لي

وآله الغر والأصحاب كلهم
والتابعين لهم جداً بلا مهل

ما حركت عذبات القلب ريح صبا
من جهم فشفت ما فيه من علل

■ أعدها للنشر : أبو بكر ح غ ، 12630

Editions IDGL
IMPRIMERIE DES EDITIONS IDGL
Tous travaux d'Impression Administratifs & Commercials
• Livres
• Revues
• Journaux, Brochures
• Dépliants, affiches, etc....
• Haute technicité et Savoir faire
• Qualité d'impression
• Rapidité d'exécution
Bd. Abd el Krim el Khattabi, Résidence Al Yamama N° 2 , Rue Lisbonne, Océan - Rabat
• Tél: 037 72 70 90 • Fax : 037 20 66 89

Editions IDGL
منشورات إدكل للطباعة والنشر
جميع أنواع المطبوعات الإدارية والتجارية
• كتب
• مجلات
• جرائد
• مطويات وملصقات بمختلف أشكالها...
• تقنية عالية وتجربة متطورة
• الإلتزام بالجودة
• سرعة الإنجاز
شارع عبد الكريم الخطابي، زنقة الشوبة إقامة اليمامة رقم 6 ، الشقة رقم 2 حي المحيط . الرباط .
• الهاتف: 037 72 70 90 • الفاكس: 037 20 66 89

« وإلى السماء كيف رفعت »

■ الدكتور: ادريس خرشاف

■ حين نصر اليوم على ضرورة التعمق في كتاب الله عز وجل، فإننا نكون بذلك قد وصلنا إلى قضية متشابكة الأطراف، بالغة التعقيد، سهلة المنال، وفي نفس الوقت يصعب على المرء تجاهل الرابطة الكائنة بين ما هو في القرآن الكريم، وما هو في مجال الكون الفسيح.

فإذا نحن نجحنا في توجيه تفكيرنا نحو دراسة الوجود بعقل متفتح، وطاقة متجددة، وبنفس زكية. بعيدة عن ترسبات الهرطقة الإنسانية، نكون بذلك قد نجحنا في تحقيق الهدف النبيل، ألا وهو خلق مجتمع إسلامي معاصر، قادر على إعادة كتابة تاريخ البشرية بمداد الإيمان، لأنه سيتوفر على كل شروط الحركة من أجل بناء حضارة إنسانية.

هذه تأملات تاريخنا، وحقائق حاضرنا وتطلعات مستقبلنا، نثيرها بين الفينة والأخرى في مقالاتنا التي نتوجه في فضائها إلى الكون الفسيح، الذي يتحدى عقل الإنسان في الزمان والمكان.

داخل هذا الإطار، نتطرق لآية واضحة في التركيب، عميقة في المعنى، تحتوي على كل العناصر التي تمد الإنسان بالمعرفة والإيمان الراسخ الذي لا يتأثر بالعوامل المناخية، إنها الآية الكريمة التي يقول فيها رب العالمين:

« وإلى السماء كيف رفعت » (الغاشية - 18)

ليس الغرض من هذه المعلومات إشعار الإنسان بمحدودية علمه، ولكن بضرورة القيام بالبحث العلمي الجاد والهادف في تخوم الكون، للاطلاع على قوى التجاذب بين الكتل الكونية التي تمنع من وقوع الأجرام السماوية على بعضها، وخاصة على الأرض من جهة، وفهم عظمة خالق وصانع هذا الكون من جهة أخرى.

لقد ظن بعض الباحثين الذين يعملون في النظرية الكوانتية (Quantinium theo-ry) ومن بينهم Max Born أن الصدفة هي المسيطرة على حركة الكون، إذ كتب له إينشتاين (Albert Einstein) خطابه يقول فيه: « أنت تعتقد بإله لعب النرد على الطاولة، أما أنا فأعتقد بقانون كامل في عالم يوجد وجودا موضوعيا، وأحاول أن ألتقط ذلك بطريقة تأملية، ولا يمكن للنجاح العظيم الذي وصل إليه علماء الفيزياء الكوانتية أن يحولوا إلى الاعتقاد بلغة لعب النرد».

وإذا كان العلماء يحاولون الإجابة على كثير من التساؤلات التي برزت لحيز الوجود، ومن بينها:

- المادة التي يتألف منها الكون.
- فهمنا للكون وموقعنا فيه.
- طبيعة المادة قبل نشوء الكون.

مواقع أخرى في الكون ملائمة للحياة.

فإن هناك أعداد أخرى كبيرة من المعطيات التي تبقى خارج حدود العلم الراهن، بالرغم من بناء التلسكوبات الكبيرة، وإرسال أقمار اصطناعية إلى العالم الخارجي، بالإضافة إلى الحواسيب الضخمة التي كبرت ذاكرتها المركزية (جيل CRAY)، بالرغم من كل ذلك، لم يستطع الإنسان تقديم نماذج صحية الرؤى والتطبيق من أجل فهم الكون، خاصة إذا علمنا أن الكون مبني على قوانين رياضية لا يعلم تركيبتها إلا صانعها، مصداقا لقوله سبحانه:

«والسماء بنيناها بأيد » (الذاريات - 47).

وعلى سبيل المثال، ادعى أحد الفلكيين. من خلال حساباته. أن فناء الكرة الأرضية سيأتي سنة 1994 نتيجة تصادم مذنب كبير مع الأرض، وهناك من ادعى أن التصادم سيحدث سنة 1995 بين شظايا كونية والأرض، والآخر يدعي أن تصادم الكرة الأرضية مع جسم كوني كبير سيحدث سنة 1998.

وها نحن اليوم في سنة 1999، ولم يحدث شيء من كل التوقعات التي أخبرنا بها، رغم حركية الكون، ورغم تمدده، بعد سلسلة الفتق التي حدثت في النجوم البعيدة عن مجرتنا (درب اللبانة) منذ وقوع الفتق الأعظم (BIG BANG) ، فإن أضفنا إلى ذلك اكتشاف مجموعة من الكويكبات التي تدور حول الشمس بين الأرض والقمر (نتائج الأبحاث: 1997)، نكون بذلك بصدد قراءة خوارزمية الكون، وخاصة الحالة التي توجد عليها كرتنا التي نعيش عليها.

بالإضافة للأسئلة الكبرى التي طرحها الإنسان (المذكورة أعلاه)، هناك تساؤلات أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، ويتعلق الأمر بتاريخ الكون، ولماذا بدأ بعملية الفتق، وما هي خصائصه، وحتى ما هي إحداثيات الثلاثية المعروفة: الشمس. القمر. الأرض (وذلك أضعف الإيمان).

يقول بعض المختصين في علم الفيزياء الكونية (Astrophysique): «إن حرارة الكون لم تكن في لحظة بداية الكون سوى مليون مليار درجة، وهي درجة حرارة منخفضة إلى حد لا يتيح لنا نظرياتنا الفيزيائية.

ولعل الكون عند تلك الحرارة، كان ممتلئا بغاز مركب من جزئيات مضادة (Parti-cules et Antiparticules) من كل الأصناف المعروفة في فيزياء الطاقات العليا، تتكون وتتلاشى دوما خلال تصادماتها، ثم زاد الكون اتساعا وبرودة، فصار تكون الجزئيات أقل تواترا من تلاشيها، فاضمحلت جل الجزئيات والجزئيات المضادة، ولو لم يتجاوز قليلا عدد الالكترونات المضادة، ولو لم يتجاوز عدد الكواركات (Quarks) المضادة لكانت الجزئيات العادية مثل الالكترونات والكواركات شبه منعدمة في الكون».

فلذلك نجد الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، بعدما قرأ الآية الكريمة: « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» (آل عمران. 90).

يقول (ﷺ): « ويل لمن قرأها ولم يتدبر فيها».

في ظل هذه الوضعية، يأتينا القرآن الكريم بلغة يوجهنا بها لدراسة قوانين الكون، وعناصره الثابتة، حيث يقول تعالى: « والسماء بنيناها بأيد» (الذاريات. 47).

ويقول تعالى: « وجعلنا السماء سقفا محفوظا» (الأنبياء. 32).

حتى يحفظنا من الأشعة الكونية.

ولفهم ذلك، لابد من إعطاء لمحة موجزة عن مكاننا الكوني والأرضي، إذ يعتبر الجو بمثابة الغطاء الذي نص عليه القرآن الكريم بالسقف، وهكذا وضع رب العالمين السقف الذي يحمي كرتنا الأرضية، كما أثبتته التجارب العلمية على الشكل الآتي:

1. الغلاف الأول ويسمى بلغته العلمية (التربوسفير) Troposphère، هذا الغلاف يمتد من سطح الأرض إلى ارتفاع يصل إلى مجاورة 12 كم.

يعتبر هذا الغلاف ضروريا لحياة الإنسان، وهو يحتوي على الكمية الكبرى من بخار الماء.

في هذه الطبقة، تتولد جميع الظواهر المناخية مثل السحب والأمطار والأعاصير وتتغير درجة الحرارة كلما ارتفعنا نحو الأعلى لتصل إلى حدود: م 60 .

2. الغلاف الثاني ويطلق عليه اسم استراتوسفير Stratosphère ويمتد هذا الغلاف من قرابة 12 كلم إلى 50 كلم.

تتميز هذه الطبقة (الغلاف) باستقرار في درجة الحرارة في منطقتها السفلية (بعض الكلمترات) التي تزداد (درجة الحرارة) في الارتفاع ابتداء من 20 كلم، يمتاز هذا الغلاف بطبقة الأوزون (ما بين 23 و 35 كلم عن سطح البحر) وظيفة الأوزون هو امتصاص الأشعة فوق البنفسجية والأشعة الشمسية.

وكلما صعدنا في غلاف (Stratosphère) ازدادت درجة الحرارة، عكس غلاف Tro-posphère

هذا التغيير في درجة الحرارة يتولد عنه . في الأجواء العليا . انعكاس غير عادي للأمواج الصوتية.

3. الغلاف الثالث ويطلق عليه اسم ميزوسفير (Mesosphère) ويمتد ما بين 50 كم و 85 كم تقريبا، ويحتوي على درجة ثابتة، شأنه في ذلك شأن الغلاف الجوي الأول Troposphère حيث تنزل درجة الحرارة إلى: 100م (في الأعلى).

فالغلاف إذن حار في الأسفل بارد في الأعلى.

4. الغلاف الرابع: ويطلق عليه اسم تيرموسفير (Thermosphère) حيث يمتد من الأجواء العليا 85 إلى 800 كم، يتميز هذا الغلاف بعنصرين أساسيين:

العنصر الأول: ترتفع درجة الحرارة كلما ارتفعنا إلى الأعلى (700م عند المستوى 200كم، وتصل إلى 100م عند المستوى 300كم).

العنصر الثاني: يتميز هواء هذا الغلاف بأيونية كبيرة.

5. الغلاف الخامس: ويطلق عليه اسم اكسوسفير (Exosphère).

إذ يبتدئ من علو 800 كلم، ويمكن اعتباره بالمنطقة الوسطى التي تفصل بين أغلفة الكرة الأرضية والسماء. يحتوي هذا الغلاف على الهيليوم والهيدروجين، وتكون الجاذبية الأرضية في هذه المنطقة ضعيفة.

أما حركة الجزئيات الغازية فتكون كبيرة، كما أن التجاذب فيما بينها يكون ضعيفا. وبشكل عام، فإن هذه الأغلفة تشكل نظاما متعدد التخصصات، يمكن ذكر خصائصه فيما يلي:

1. الغلاف الجوي، ويتكون من الهواء الجوي (حوالي 70 كم)، وهو عبارة عن خليط من الغازات (21٪) أوكسجين، ٪ 78 نتروجين).

وظائفه: أ. يعتبر غاز النيتروجين ضروريا للتنفس، لأن الأوكسجين لوحده يجف الحلق، وتضيق به النفس.

ب. يدخل في التفاعلات الكيميائية التي ينتج عنها سماد هام للنبات، إذ يسقط أوكسيد النيتروجين مع المطر فيغذي النبات.

ح. يقوم الأوزون الموجود في هذا الغلاف بحمايتنا من:

. اختراق جلودنا.

العمى البصري، بسبب وصول الأشعة فوق البنفسجية.

د. الأرجون Aragon، بخار الماء + ثاني أوكسيد الكربون.

II. الغلاف الجوي (أكثر من 70كم).

إنه يحمي الغلاف الأرضي من الشهب والنيازك، وذلك بتفتيتها إلى ذرات دقيقة. (إذ تصل عدد الشهب التي تهاجم السقف المحفوظ إلى ملايين الشهب يوميا).

كما أن النسبة العالية للأزوت في الجو تعمل على إطفاء الحريق الذي يشب على الأرض (نسبة الأزوت ت/ 54 حجم الهواء). فهل فهمنا معنى الآية: « وجعلنا السماء سقفا محفوظا» (الأنبياء 32).

إن هذا السؤال موجه خاصة للشباب، الذين يفكرون بعقولهم ولا يقتنعون إلا عن طريق البرهان المادي الملموس.

لذلك نقول لهم، عليكم بمراجعة آيات الله سبحانه والتدبر فيها، لأن كل القضايا التي رأيناها وسمعناها إلى حد كتابة هذه الأسطر، لم تكن في الواقع سوى نقطة في بحر لا نهاية له.

مصداقا لقول رب العالمين:

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا» (الكهف. 109).

فهل وعينا هذه الرسالة ؟ بالإضافة لكل ما سبق، وتنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى حينما يقول: « وإلى السماء كيف رفعت » (الغاشية. 18).

نجد حركة النجوم والكواكب التي تسير في خطى ثابتة، ووفق معادلات كونية منتظمة، مصداقا لقوله تعالى: « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» (يس. 40).

إنه انتفاع صارخ لفكرة الصدفة التي أتى بها الإنسان، ولم يستطع التخلص منها. لقد قالوا:

1. سنة 1970(يوليوز)، قالوا إن المذنب Lexell سيصطدم بالأرض. حسب حسابات العلماء. وسيحدث كارثة كونية، ولم يقع ذلك.

2. سنة 1970 (أكتوبر)، زعموا أن هناك شهبا ستصطدم بالأرض في هذا التاريخ، وستكون قوة الارتطام بالأرض تعادل ما بين 500 و 200 ميغاتون من TNT، ولم يحدث ذلك.

3. سنة 1989 (مارس)، قالوا إن شهبا ستسقط علينا أطلقوا عليها اسم (FC 1989)، ولم يحدث شيئا.

4. سنة 1991 (يناير)، تنبأ العلماء لاصطدام جسم سماوي مع الأرض، لكنه مر على مسافة 170.000 كم.

5. سنة 1993، تنبأ العلماء باصطدام الأرض بجسم سنة 2000 (غشت) فهل نقول كذلك ؟ إنها حسابات لا تعدو كونها عمليات بشرية، وستبقى في عداد الاحتمالات البشرية، لأن الإنسان لم يؤت من العلم إلا القليل.

6. سنة 1997، توقع بعض العلماء في مراكز الأرصاد الجوية، حدوث اصطدام جرم سماوي كبير بالأرض سنة 1999، وها نحن اليوم نعيش أحداث هذه السنة، ولم يحدث شيئا من كل ما سبق ذكره.

فعمارة الكون إذن بطبقة سمكية، وبمواد. كما رأينا ذلك. تثير العقل، وتدعوه إلى الاعتراف بوجود خالق لهذا الكون، يعتبر من المبادئ الأساسية للإيمان برب العالمين، الاعتراف بمحدودية الإنسان، مصداقا لقوله تعالى:

«أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها».

(النازعات. 27، 28، 29).

إنها آيات خالدات في مسيرة الإنسان، تتحدى العقل والنفس، وتوجه الروح نحو بارئها سبحانه وتعالى.

الإسلام نظام عالمي متجدد

الحلقة الثانية

■ بقلم ذ : محمد حسني عضو المجلس العلمي لجهة الشاوية. ورديغة. سطات

■ ويقول : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين). سورة آل عمران، الآية : 85.

حفظ المال

فالإسلام يحترم الملكية الخاصة، شرط أن يؤدي فيها حقوق الله من زكاة وواجبات عمومية ، وأن يكون ماله من مكسب حلال، فلا يترك لأحد الاستبداد بماله، أو احتكاره، أو صرفه فيما لايجدي على الإنساسية نفعا ويجر عليها ضررا.

حفظ الأسرة

هو صون العرض من الفساد والدناءة، بالغيرة على مقومات العرض المختلفة، لأن إحساس الإنسان بشعور الكرامة من مميزات الإنسانية.

حفظ العقل

فالعقل هبة وموهبة وعطاء رباني يستعمله الإنسان في الإبداع، والاستنتاج، والتمحيص، والاستنباط والاستقراء، والملاحظة، وكشف الظواهر الطبيعية، ومعرفة مميزاتها، وهو أساس معرفة حقيقة الإسلام.

فالإسلام لم يفرق بين بني البشر، حيث جعل الناس سواسية كأسنان المشط، لا كالشعوب القديمة التي اتخذت مدارسا صنفت فيها بني البشر بجرة قلم إلى أصناف لا ترتكز على منطق سليم، فالإغريق قسموا بني البشر إلى عناصر متحضرة عاقلة، وإلى برابرة متوحشة.

وسارت المدارس اليونانية تعمل على نشر ثقافة الاسترقاق اعتقادا منهم أن ظاهرة الرق ظاهرة طبيعية. واليهود كانت أعرافهم تسترق الأشخاص الغرباء، في حين أن الإسلام يدعو إلى ضيافة ابن السبيل، ويعنى بأهل الحل والعقد، الذين أوتوا من العلم حظا وافرا، والذين لهم القدرة على حل المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهم فقهاء ثقاة يعرفون أصول الشريعة ومقاصدها الإنسانية.

الإسلام دين سماحة وسلام وتعايش

فالإسلام دين سماحة، ويسر، ودين لا حرج، فهو لا يكلف النفس إلا وسعها، وهو دين الفطرة، لا يحمل البشر إلا في حدود طاقاتهم يقول الله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر). سورة البقرة الآية : 185.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا). رواه البخاري ومسلم، ولهذه الأسباب وغيرها فرض الإسلام الصلاة على الإنسان يصليها حسب طاقته ولو كان مريضا، ويومئ بعينيه ويقصرها في السفر، ويسقطها عن المرأة في حالة حيض أو نفاس، ويتيمم الإنسان إذا خاف ضررا، ويعوض الصيام عن العجزة والمسنين بالفدية، ونهى الرسول الأئمة عن عدم إطالة الصلاة ملقنا إياهم بأن لا يصلوا بالسور الطوال، لأن وراءهم الضعيف والمريض وذو الحاجة. وفي هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ عندما شكاه أحد الصحابة إليه وقد أطال بهم الصلاة، قال له صلى الله عليه وسلم : (يا معاذ أفتان أنت أو فاتن ثلاث مرار). رواه البخاري في صحيحه. كما فرض الإسلام الحج على من استطاع إليه سبيلا، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى أمر التيسير :

(فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم). رواه أحمد وابن ماجة، ويرفض أن يكفر إنسان آخر لأن العاقبة هي الخاتمة، خاتمة حياة الإنسان. وفي هذا الباب يقول سبحانه وتعالى : (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون). سورة الأعراف، الآية : 99، ومنها استنباط القاعدة الشرعية التي تقول : " لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب".

ويرفض بشكل قطعي الغلو والتطرف، يقول الله تعالى في كتابه العزيز : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم |). سورة النساء، الآية 171. فهو دين وسطية، ودين سماحة، ودين أخلاق وأدبيات وفضيلة.

وهو دين سلام، لأنه جمع المسلمين على كلمة سواء، وهي شهادة أن لا إله إلا الله. وقد أرسل الله رسوله النبي المبلغ البشير المنذر رحمة للعالمين، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة). سورة البقرة، الآية : 208، ويقول تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). سورة البقرة، الآية : 190. وينهى الإسلام عن قتل النفس بغير حق، يقول الله تعالى : (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا). سورة المائدة، الآية : 32، وإفشاء السلام على من عرفت أو على من لا تعرف هو شهادة كبرى على سماحة الإسلام الذي يعانق الناس جميعا، ويشرح صدور الجميع بالتحية، (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها). سورة النساء، الآية : 86. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الباب : (أفشوا السلام بينكم|). رواه مسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد، فالإسلام تجاوز في منهجه القويم وحبكه القوي السليم ورصانته وضبط تعاليمه بالمنهج الحكيم، أن يتحدى كل الأحكام الوضعية التي تنص على " حقوق الإنسان "، وحماية حرية الأفراد والجماعات، كالميثاق الذي وضعته هيئة الأمم المتحدة وغيره من المنظمات الوضعية.

وهو دين تعايش

ذلك أنه يدعو إلى تعايش الحضارات والتساكن مع الغير، والعطاء دون حدود، ومسالمته لحرية العبادات فلا يكره أحدا على عبادة، يقول سبحانه وتعالى : (لا إكراه في الدين). سورة البقرة، الأية 256، ويقول كذلك : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). سورة الكهف، الأية 29. هذا وإن القوة لم تكن فعالة في نشر الإسلام وتعاليمه، فقد نشروا الإسلام عن طريق الفضيلة والأخلاق السامية ولنا إسوة بالرحالة المسلمين في قدوتهم وتعاملهم الطيب كالشريف الإدريسي، وابن بطوطة وحامد بن حامد وغيرهم.

وهو دين حوار وتبشير

فهو يدعو بالموعظة الحسنة وبالتي أحسن، وبحديث (أتبع السيئة الحسنة تمحها وخاق الناس بخلق حسن)، يقول الله تعالى في كتابه العزيز : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) . سورة النحل، الآية : 125. فالإسلام رفع من مكانة الإنسانية وجردها من أنانيتها، حتى يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). رواه البخاري والترميذي والنسائي، ولا يكره الإسلام أحدا على الأخذ إلا باقتناع تام، يقول الله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي). سورة البقرة، الآية: 256. والإسلام يخاطب العالم بسماحة رسالته، وبوحي نبيه صلى الله عليه وسلم في إطار سلامة قلوب ورحابة صدور، يقول سبحانه وتعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). سورة الحجرات، الآية : 13.

وهو دين يعتمد العقل والعلم

فهو رسالة إعجاز علمي، وهو علم يقيني يأخذ بالمعقول والمنقول، وهو دين الارتباط بالسلوك، والمعارف الدينية الحقة، وهو يرتكز على مقومات إنسانية أساسها التقوى، يقول الله تعالى في كتابه العزيز : (واتقوا الله ويعلمكم الله). سورة البقرة الآية : 282، والتقوى هي توحيد الربوبية بصفاء القلب وحسن الطوية.

وقد تقع أشياء غيبية ليس للعقل قوة احتضانها أو السيطرة عليها، ولكن يمكن معرفتها بالإيمان، فهو يلجأ في حلها أو الإفتاء فيها بعلم يرتكز على مقومات الشريعة الإسلامية القائمة على الاعتقاد، ويلتزم فيه بجانب الوسطية.

ويؤيد الإسلام العلم، يقول صلى الله عليه وسلم : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدراسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه). رواه مسلم وابن ماجة وأحمد. ودعا إلى التعليم بالقلم، وهو علم لا يعرف الحدود الجغرافية " اطلبوا العلم ولو في الصين"، وهو طلب مستمر لا يقف عند عمر من الأعمار:" اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ".

والمبشر الداعية يجب أن يكون على بصيرة مما يدعو إليه، وأ ن يكون من المخبثين الذين قال فيهم الله سبحانه وتعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم). سورة الأنفال، الآية : 2، ويقول الله تعالى رافعا من قيمة العلم : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون). سورة الزمر، الآية : 9، وأشركهم الله في الشهادة لمكانة قربهم من الله بالعبادة الحقة، يقول الله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا الله والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) . سورة آل عمران، الآية : 18.

الإسلام دين متجدد بالاجتهاد

فهو لايعرف التواكل أو العجز أو الكسل، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم متعوذا من ذلك قائلا : (إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال). رواه أبو داود وأحمد.

فهو دين مرجعيته الكتاب والسنة، ومقاصده بناء المجتمع السليم الذي يقيم شرائع دينه السمحة الحنيفية. والاجتهاد في الإسلام له مقوماته من حيث الذين تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، والأهلية الفكرية، وهو جهاد فكري. والإسلام يساير كل عصر في إبداعه واكتشافاته، لأنه السيرورة التي تربط الإنسان المسلم بممتلكاته ومكتسباته المادية والمعنوية، فهو يسد الفراغ التشريعي تحت مقومات الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيره، مع مراعاة المصالح المرسلة وسد الذرائع، والاستصحاب، وشرع ما قبلنا حسب المذهب المالكي تحت قواعد ضابطة .

ولهذا فاق الإسلام الديانات والفلسفات المختلفة وضمن الله لرسالته الدوام والاستمرار والبقاء كنظام عالمي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

الإسناد العالي والنازل

تعريف الإسناد العالي والنازل

الحلقة الاولى

■ إعداد: عفيف الصباطي

■ أما لغة فإن لفظ الإسناد مصدر أسند يقال أسند في الجبل رقي وصعد. ويقال أسند الحديث إلى قائله : رفعه إليه ونسبه. وأما السند، فهو يطلق على كل ما يستند إليه ويعتمد عليه من حائط وغيره، كما يطلق أيضا على ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح (9).

ولفظ العالي مشتق من علا الشيء يعلو علوا، بمعنى ارتفع، وهو عال وعلي. ويقال: علا فلان الجبل إذا رقيه (10).

ولفظ النازل مشتق من نزل ينزل نزولا، بمعنى هبط من علو إلى سفل (11).

وأما في الاصطلاح، فالإسناد وهو إضافة الحديث إلى قائله والسند، هو حكاية رجال الحديث الذين رووه، واحدا عن واحد إلى رسول الله (ﷺ) وهما متقاربان في معنى اعتماد النقاد في صحة الحديث وضعفه عليهما. ولذا، استعملهما المحدثون لشيء واحد (12).

والإسناد العالي : هو الذي قل عدد رجاله مع الاتصال (13).

وضده الإسناد النازل : وهو الذي كثر عدد رجاله مع الاتصال (14).

أقسام العلو والنزول

قسم المصطلح العلو والنزول إلى قسمين رئيسيين :

. القسم الأول : ما كان مطلقا من العلو والنزول :

فأما العلو المطلق، فهو القرب من رسول الله (ﷺ) من حيث عدد الرواة بإسناد صحيح نظيف (15). وهو أفضل أنواع العلو وأجلها والمطلوب في هذا الإسم أن يقل عدد الوسائط في السند، بين المحدث ورسول الله (ﷺ) بالإضافة إلى سند آخر أكثر منه عددا يروى به الحديث ذاته، أو بالنسبة إلى مطلق الأسانيد، كالذي حصل لمالك بن أنس في ثنائياته مثال ذلك :

حديث مالك عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله (ﷺ) نهى عن الشغار والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق (16).

فبين مالك ابن أنس ورسول الله (ﷺ) في هذا السند راويان فقط، هما : نافع، وعبد الله بن عمر.

وكالذي حصل للبخاري في ثلاثياته، مثال ذلك :

. حديث البخاري : حدثنا أبو عاصم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع، قال : قال النبي (ﷺ) : « من ضحى منكم، فلا يصبحن بعد ثالثة، وفي بيته منه شيء». فلما كان العام المقبل قالوا : يارسول الله، نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ »، قال : « كلوا وأطعموا وادخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها (17).

فبين البخاري ورسول الله (ﷺ) في هذا السند، ثلاثة رجال فقط، هم : أبو عاصم، ويزيد بن أبي عبيد، وسلمة بن الأكوع.

وكالذي حل للبخاري في رباعياته، مثال ذلك :

. حديث البخاري : حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا قرة بن خالد حدثنا عمر بن دينار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بينما رسول الله (ﷺ) يقسم غنيمة بالجعرانة إذ قال له رجل : " إعدل " فقال له : لقد شقيت إن لم أعدل" (18).

فبين البخاري ورسول الله (ﷺ) في هذا السند، أربعة رجال فقط هم: مسلم بن إبراهيم، وقرة بن خالد، وعمرو بن دينار، وجابر بن عبد الله.

أما إذا كان قرب الإسناد، مع ضعف بعض الرواة، فلا التفات إلى هذا العلو (19).

ويقابل هذا القسم من العلو : النزول المطلق، وهو ما كثرت فيه الوسائط إلى النبي (ﷺ) (20).

. القسم الثاني: النسبي من العلو والنزول:

فأما العلو النسبي، فهو القرب من إمام ومن أئمة الحديث، ذي صفة علية، كالحفظ والفقه والضبط والتصنيف، وغير ذلك من الصفات المقتضية للترجيح، كالعلو إلى الأعمش، وهشيم بن بشير، وعبد الملك بن جريج، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ومالك بن أنس، والشافعي و وسفيان بن سعيد الثوري، وشعبة بن الحجاج، وزهير بن معاوية، وحماد بن زيد، وغيرهم من أئمة الحديث. وإنما يوصف بالعلو، إذا صح الإسناد إلى ذلك الإمام، بالعدد اليسير من الرجال، وإن كثر العدد من ذلك الإمام، إلى رسول الله (ﷺ) (21).

ومثال ذلك:

. حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله (ﷺ) قال: " من مطل الغني ظلم، فإذا أتبع أحدكم على ملي فليتبع" (22).

فعلو سند هذا الحديث، يرجع إلى قرب البخاري فيه من مالك بن أنس الإمام، إذ ليس بينهما إلا عبد الله بن يوسف.

والعلو في هذا القسم، يعرف بالفهم لا بعدّ الرجال. فرب إسناد يكثر عدد رجاله، ومع ذلك يعتبر إسنادا عاليا (23).

ومثال ذلك:

. حديث مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله (ﷺ): " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر" (24).

فعلو سند هذا الحديث. وإن كان فيه بين مسلم ورسول الله (ﷺ) ستة من الرجال. يرجع إلى قرب مسلم فيه من الأعمش، إذ ليس بينهما إلا أبو بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن نمير، والأعمش إمام من أئمة الحديث. قال الحاكم النيسابوري: " هذا إسناد صحيح ومخرّج في كتاب مسلم ... وهو أعلى من: .. الذي قدّمنا ذكره فإن الغرض فيه، القرب من سليمان بن مهران الأعمش، فإن الحديث له، وهو إمام من أئمة الحديث، وكذلك كل إسناد، يقرب من الإمام المذكور فيه. فإذا صحت الرواية إلى ذلك الإمام بالعدد اليسير، فإنه عال" (25).

ويقابل هذا القسم من العلو: النزول النسبي، وهو ما كثرت فيه الوسائط إلى إمام من أئمة الحديث (26).

حكم طلب الإسناد العالي

يرى علماء الحديث، أن طلب الإسناد العالي سنة (27) ويحتج بعضهم لذلك، بحديث أنس بن مالك. رضي الله عنه. قال: "نهينا أن نسأل رسول الله (ﷺ) عن شيء. فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع. فجاء رجل من أهل البادية، فقال: " يا محمد! أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك"، قال: " صدق"، قال: "فمن خلق السماء؟"، قال: "الله". قال: " فمن خلق الأرض؟" قال: الله: قال: "فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟" قال: "الله" قال: "فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال، الله أرسلك؟"، قال: "نعم". قال: "وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا". قال: "صدق". قال: " فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟" قال: «نعم». قال: "وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا". قال: "صدق". قال: "فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟"، قال: "نعم" قال: "وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا". قال: "صدق". قال: ثم ولى. قال: " والذي بعثك بالحق! لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن". فقال النبي (ﷺ): "لئن صدق ليدخلن الجنة" (28).

ففي هذا الحديث دليل على إجازة طلب المرء العلو في الإسناد، وترك الاقتصار على النزول فيه، وإن كان سماعه عن الثقة. إذ البدوي، لما جاءه رسول الله (ﷺ)، فأخبره بما فرض الله عليهم، لم يقنعه ذلك، حتى رحل بنفسه إلى رسول الله (ﷺ)، وسمع منه ما بلغه الرسول عنه. ولو كان طلب العلو في الإسناد غير مستحب، لأنكر عليه المصطفى (ﷺ) سؤاله إياه عما أخبره رسوله عنه، ولأمره بالاقتصار على ما أخبره الرسول عنه (29).

وهكذا أجمع أهل النقل على طلب العلو ومدحه، واستحبوا الرحلة لتحقيق هذا الغرض العلمي. وقد رحل المحدثون فيه، واتعبوا مطاياهم من أجله. ما إن يسمع أحدهم بحديث عن محدّث في عصره، حتى يرحل إليه ليسمعه منه مباشرة. قال أحمد بن حنبل: "طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف" (30) وقيل لأحمد بن حنبل: " أيرحل الرجل في طلب العلو؟" فقال: "بلى والله شديدا، لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر. رضي الله عنه. فلا يقنعهما، حتى يخرجا إلى عمر. رضي الله عنه. فيسمعانه منه" (31).

■ انظر مجلة الهداية العدد 158 السنة 28

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1070
السنة37
الجمعة 8 ربيع الثاني 1425 هـ
الموافق 28 ماي 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1070 الجمعة 8 ربيع الثاني 1425 هـ .الموافق 28 ماي 2004م

سياسة الدعوة وموقف حكماء الشريعة من "أحاديث البشائر"

■ من إعداد المرحوم الشيخ محمد المكي الناصري

■ اعتاد بعض الوعاظ أن يتقربوا إلى العوام برواية "أحاديث البشائر" بدعوى أنها تحبب إليهم الإيمان والإسلام، دون أن يبينوا لهم السياق الذي وردت فيه تلك الأحاديث، ولا أن يقيدوا ما هو مطلق منها، مما هو في حاجة إلى التقييد، ولا أن يؤولوها بما يتفق مع القواعد العامة للشريعة وللتأويل المناسب، وحتى لاتؤدي رواية تلك الأحاديث رواية مجردة إلى فهمها على غير وجهها، أو إلى عكس المقصود منها، نأتي بنبذة عنها، وموقف حكماء الشريعة منها، حتى يكونوا على بينة من أمرها.

لقد دل الاستقراء على أن "أحاديث البشائر" نوعان:

النوع الأول: بشائر حض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على عدم التبشير بها حتى لايتكل الناس عليها، والنوع الثاني بشائر يرى بعض السلف أنها صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم للفوج الأول من المومنين قبل أن تفرض الفرائض، وقبل أن يكمل الدين.

فمن النوع الأول حديث أبي هريرة المروي في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستقيما بها قلبه فبشره بالجنة" فلما خرج لقي عمر ابن الخطاب، فأخبره بذلك، فما كان من عمر رضي الله عنه إلا ضرب أبا هريرة بين ثدييه حتى وقع على مؤخرته، ورجع إلى رسول الله يبكي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: ماحملك ياعمر على مافعلت؟ فقال عمر: يارسول الله. أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فخلهم" أي فخلهم يعملون ولايتكلون، وهكذا وافق الرسول عليه السلام على عدم التبشير بها.

ومن النوع الثاني الذي حمله بعض السلف على أنه خاص بالمرحلة الأولى من حياة الإسلام قبل أن تشرع الشرائع وتفرض الفرائض حديث عثمان بن مالك الأنصاري المروي في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله قد حرم على النار من قال لاإله إلا الله يبغي بذلك وجه الله وفي رواية بنفس الصحيح: "لن يوافى عبد يوم القيامة بقول لاإله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار" فقد حدث بهذا الحديث محمود بن الربيع أبا أيوب الأنصاري صاحب رسول الله، في غزوته التي توفي فيها بالقسطنطينية ويزيد بن معاوية أمير عليهم بأرض الروم، فأنكر ذلك عليه أبو أيوب خالد بن زيد الانصاري الذي نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مهاجرا، فلما قفل محمود بن الربيع من غزوته وقدم المدينة سأل عتبان بن مالك عن الحديث نفسه، فحدثه به كما حدثه أول مرة، ثم تحدث محمود بن الربيع بنفس الحديث إلى الإمام محمد بن مسلم الزهري، فقال له الزهري تعليقا عليه: "ولكنا لاندري أكان هذا قبل أن تنزل موجبات الفرائض في القرآن، فنحن نخاف أن يكون الأمر صار إليها، فمن استطاع أن لايغتر فلا يغتر".

ومن هذا النوع نفسه حديث أبي ذر الغفاري المروي أيضا في صحيح البخاري أن رسول الله (ﷺ) قال: "من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة، قال: "وإن زنى وإن سرق" قال : "وإن زنى وإن سرق" وفي رواية أخرى بنفس الصحيح: "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" قال أبو ذر: "وإن زنى وإن سرق؟" فأجابه رسول الله (ﷺ) قائلا: "وإن زنى وإن سرق"، ثم كرر أبو ذر السؤال مرتين، فتلقى نفس الجواب، ثم قال عليه السلام : فقال له الزهري مانصه بالحرف الواحد: "أين يذهب بك يا أمير المومنين، هذا قبل الأمر والنهي وقبل الفرائض" ونقل عبد الله بن المبارك في كتاب (الزهد والرقائق) جواب الزهري الخاص بكلا الحديثين: الجواب الذي أجاب به محمود بن الربيع، والجواب الذي أجاب به عبد الملك بن مروان.

هذا هو قول الإمام محمد بن مسلم الزهري في هذا النوع الشائع من البشائر، والإمام الزهري هو الذي قال فيه عمر بن دينار: "مارأيت أنص للحديث من الزهري" وقال فيه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية: "أصح الأسانيد مطلقا الزهري عن سالم عن أبيه "وقال فيه الشافعي: "لولا الزهري لذهبت السنة من المدينة".

والذي نقل عنه هذا القول هو الإمام عبد الله بن المبارك في كتاب (الزهد والرقائق ص324) والإمام ابن المبارك هو الذي قال فيه الحافظ أبو عمر بن عبد البر: "أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله"

أما الإمام البخاري الذي روى هذا الحديث في صحيحه أكثر من مرة، فقد عقب عليه بعد روايته في "باب الثياب البيض" ضمن (كتاب اللباس) من صحيحه بقوله: "قال أبو عبد الله . يعني البخاري نفسه . هذا عند الموت، أو قبله، إذا تاب وندم وقال لا إله إلا الله غفر له". وعلق عليه الحافظ ابن حجر قائلا: "يريد البخاري شرح الحديث الذي رواه في نفس الباب" ثم وضح ابن حجر قائلا: "يريد البخاري من تعقيبه على نص الحديث فقال: ؛ وحاصل ما أشار إليه أن الحديث محمول على من وحد ربه ومات على ذلك تائبا من الذنوب التي أشير إليها في الحديث، (يعني تائبا من الزنى والسرقة) فإنه موعود في هذا الحديث بدخول الجنة ابتداء " ثم قال ابن حجر: "وهذا في حقوق الله باتفاق، وأما حقوق العباد فيشترط ردها عند الأكثرين وأما من تلبس بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة فظاهر الحديث أنه أيضا داخل في ذلك، لكن مذهب أهل السنة أنه في مشيئة الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه، طبقا لحديث عبادة بن الصامت الذي رواه البخاري في كتاب الايمان من صحيحه". قال ابن حجر: "وهذا الحديث المفسر مقدم على المبهم"(فتح الباري ج12ص398.399).

وتناول الحافظ ابن حجر الكلام على هذا الحديث نفسه عند رواية البخاري له في (كتاب الجنائز) فقال: (والحكمة في الاقتصار على الزنى والسرقة في هذا الحديث الإشارة إلى جنس حق الله تعالى وحق العباد، وكأن أبا ذر استحضر قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن" لأن ظاهره معارض لظاهر هذا الخبر، لكن الجمع بينهما على قواعد أهل السنة ممكن، بحمل هذا على الإيمان الكامل، وبحمل حديث الباب على عدم التخليد في النار)(فتح الباري ج3ص:354353352) وفي صحيح البخاري: "قيل لوهب بن منبه: "أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك"، والمراد بالأسنان التزام الطاعة، والمراد بقول "لاإله إلا الله" في هذا الحديث وغيره كلمتا الشهادة، فهو لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعا.

كابرييل ڤير

«في صحبة السلطان»

ترجمة عبد الرحيم حزل.

الكتاب صدر عن منشورات جذور سنة 2003 في 135 صفحة.

يعد هذا الكتاب وثيقة هامة عن تاريخ مغرب ما قبل الاستعمار لأن صاحبه رغم اختصاصه كصيدلي تم مصور يحكي لنا في كتابه أسرارا سياسية واقتصادية واجتماعية هامة ينفرد بها.

ومما جاء فيه هذه الرسالة.

فاس، 28 شتنبر 1904.

إلى السيد رئيس الجمهورية الفرنسية في باريز.

السيد الرئيس،

جمعتني، في هذه الأيام الأخيرة، محادثات طويلة بالسلطان مولاي عبد العزيز، وأعتقد أن من واجبي، أنا الفرنسي، المحب للسلم، أن أبعث إليكم بالمذكرة رفقته، وبها تلخيص واف لأفكار جلالته الشريفة ورغباته، التي كانت جلالته تحرص على أن تلقى منكم التأييد :

إن الدبلوماسية الفرنسية لتحيد عن الصواب، ولتخلق بين حكومتينا خلافات جسيمة ونزاعات فادحة، لو ظننت أن المغرب بلد خرب، أو ظننت أنه لم يعد سبيل إلا إلى ضمه في صورة حماية مقنعة شبيهة بالحماية التي لكم على تونس، أو على مدغشقر.

إن المغرب عاقدٌ العزم على أن يظل، في المستقبل، حرًا، كما كان في الماضي. وهذا أمرٌ ينبغي أن يعرفه الجميع في أوروبا.

إن كتابنا المقدس، القرآن، في تفسيره المحكَم، يحث على التقدم، لأنه يقول إن الله مصدر كل الخيرات.

ونحن نؤيد، مسبقا، كل ضروب التقدم في الفلاحة، والصناعة، والإدارة.

وسوف لانتردد في طلب النصيحة والعون من فرنسا، لكن فقط عندما نجد الحاجة والسبيل إلى تحقيقها، ولا يمكننا القبول بأن تفرَض علينا تحولات نحن أفضل من يحكم بملاءمتها لنا، ولا بالأحرى، أن تفرَض علينا شخصيات رسمية أجنبية، يحلون محل رؤسائنا من الأهالي.

هذا المس باستقلال المغرب، سنرد عليه بتعبئة عامة، سرعان ما تأخذ أشكال الحروب الجهادية القديمة التي شنها الإسلام على الكفار.

وسوف نرحب بمن يأتينا من الفرنسيين الأخيار، من علماء، وتجار. وسنمكن لهم أن يطلقوا عندنا العنان لمبتكراتهم، ونتيح لهم تنمية رؤوس أموالهم لكن لا يمكن لشيء من ذلك أن يقع إلا تحت مراقبتنا، وبإذن منا.

لقد سرنا أن يكون مشاهير الجمهورية الفرنسية إلى جانب السلم. ونتمنى أن يكون منكم تصريح عمومي، على قدر الصراحة وسلامة النية التي عندنا، يبدد لدى المغاربة كل المخاوف من دسائس ومؤامرات تكون تهيء للغزو.

والحمد لله ودام السلم بين فرنسا والمغرب

تلك هي، سيدي الرئيس، التصريحات التي أتشرف بنقلها إليكم، باسم جلالة السلطان عبد العزيز، والتي أرجو أن تتقبلوها مشمولة بعظيم احترامي.